الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة عمار ثليجي – الأغواط

كلية: الاداب و اللغات
قسم : اللغة و الأدب العربي

مذكـــرة ماستـــر

تقديم الطالبة : بن عيسى خديجة

ميدان : اللغة العربية و آدابها

شعبة : دراسات أدبية

تخصص: أدب عربي قديم

موضوع البحث

دلالة الاشارة من خلال أحاديث الرسول صلى الله عليه و سلم

أعضاء لجنة المناقشة:

الاسم و اللقب	الدرجة العلمية	الصفة
عامر بن مسعود	أستاذ التعليم العالي.....	رئيسا
بن يوسف شتيح.....	أستاذ محاضر أ.....	مشرفا و مقررا
محمد غريبيز.....	أستاذ التعليم العالي.....	مناقشا

السنة الجامعية: 2018/2017

بسم الله الرحمن الرحيم

نحن لا نزعم بأنا فرحون

بما سنأتي به من جمع وعناء التدوين

بل فرحتنا بما من الله علينا من فضله

وبذلك فليفرح المؤمنون

قال الله تعالى:

" قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون "

سورة يونس الآية 58.

الشكر والتقدير

إلهي لا يطيب الليل إلا بشكرك ولا يطيب النهار إلا بطاعتك ولا تطيب اللحظات إلا بذكرك ولا تتطيب الآخرة غلا بعفوك ولا تطيب الجنة إلا برؤيتك ،قال تعالى " لئن شكرتم لأزيدنكم " فالحمد والشكر له أولا و أخيرا وبعد :

مما يسعدني أن أتوجه بخالص الشكر وعظيم الامتنان لأستاذي الفاضل ذي القلب الواسع والذي لم يبخل علي بعلمه و وقته ، فكان نعم المشرف ونعم المعين الأستاذ شتيح بن يوسف .

وكذلك الشكر موصول لأعضاء لجنة المناقشة على تحملها عبء فحص وتقييم الرسالة، عميد الكلية الدكتور :بن مسعود عامر ذي العقل النير والذي مد لي يد العون ولم يبخل علي بتوجيهاته الحكيمة ولا يفوتني أن أتقدم بالشكر إلى عمال كلية الأدب واللغات،وسعادة الدكتور غريبيز محمد ذي الصدر الرحب فكان نعم المعين ،وأعدهما أنني سأستفيد من ملاحظاتهما فجزاهما الله عن العلم خير الجزاء .

كما لا يفوتني أن أتوجه بجزيل الشكر وعظيم التقدير إلى أساتذة قسم اللغة العربية و آدابها بجامعة عمار ثليجي –الأغواط– الذين هم منارة السائرين في درب العلم والمعرفة وأخص بالذكر الأستاذ أبوبكر مرزوق والأستاذ سليمان بن علي والأستاذ محمد فنطازي والأستاذ بن شتوح عامر والأستاذ سليم حفاصي الذين بعد الله عز وجل سهلوا لي كل عسير .

الإهداء

كنت يومها صغيرة ولم أتجاوز العاشرة ،عندما سألته عن عمل يغذي طموحي وروحي الجادة، حينها رد بكلمات لم أفهمها لكنني حفظتها عنه ولطالما رددتها مرارا وتكرارا قال لي : قومي بأمر من اثنين : افعلي شيئا يستحق أن يكتب أو اكتبي شيئا يستحق أن يقرأ .

واليوم احمل ماسطرت بيميني وأقف منحنية إجلالا أمام صاحب هذه الكلمات لأقبل جبينه لأنه أضاء طريقي بالعلم والمعرفة، وأحاطني برعايته ،وكلاني بعطفه ...

والدي الحبيب.

إلى ملاكي في الحياة وسر الوجود ..إلى من كان دعاءها سر نجاحي .. إلى من رافقتني منذ أن حملت الحقيبة الصغيرة ..ومعك سرت الدرب خطوة بخطوة

أمي العزيزة.

إلى رفيقات الدرب وصديقات العمر إلى عطر أيامي وزهراتي الجميلات ونبض حياتي إلى من كانوا يضيئون إلى الطريق ويساندوني إلى أخي سندي وعزي وزوجته .

إلى مصابيح البيت ...إلى من سعادتهما ومحبتهما تمطر سمائي سعادة وتشرق شمسي من جديد

فاطمة الزهراء وجواد

إلى صديقاتي إلى من تطلعوا إلى النجاح بنظرات الأمل ...في نهاية مشواري الدراسي أود شكركما على مواقفكما النبيلة ..

هاجر وفاطمة سارة ونسرين منبعا أنسي

و أقول لكم بكم كان الأمل وإليكم أهدي هذا العمل

خديجة بن عيسى

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ،ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله ألا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله .

وبعد :

لقد خلق الله الإنسان في أحسن تقويم و وهبه نعمة اللغة التي تعد من أهم الروابط الاجتماعية التي تصله بغيره ، فعلى إثرها تبنى أحكام وتتخذ مواقف ، ولقد حظيت اللغة باهتمام الدارسين والباحثين في مجال المعرفة وشغلت حيزا واسعا في الفكر الإنساني قديما وحديثا لأن الإنسان لا يستطيع أن يعبر عما يجول في خاطره لولا وجود اللغة التي تلعب دورا حيويا في عملية التواصل الإنساني، إذ هي الوسيلة الأهم التي يتم من خلالها تبادل الأفكار والمعلومات بين أفراد المجتمع، سواء كانت هذه اللغة منطوقة أو غير منطوقة ، لأن التعبير اللغوي لا يقتصر على الكلام اللفظي فقط و إنما يتجاوز ذلك ليشمل إشارات ورموز وإيماءات ...

فالأصل المعتمد في التبليغ عن المراد إضافة إلى الكلام اللفظي إذن هو كلام غير لفظي يعتمد الإشارات والإيحاءات ... والتي تقوم بدورها تأثير على الآخرين أثناء عملية التواصل تماما مثل الكلام. ومنه فقد كان للغة الجسد نصيب من هذا الدرس اللغوي المتعدد، وشغلت فكر معظم الدارسين، بغية الكشف عن خباياها ومزاياها. ومن خلال اجتهاد الدارسين بلغة الإشارة والتواصل الجسدي فإنها قد أدت دورا كبيرا في تحقيق الترابط والتفاهم بين بني البشر لأن المعنى قد لا يتحقق أحيانا إلا بواسطة رموزا فكلمة رمز هي بوابة وبداية إيمائية عفوية تخططها أعضاء الجسد لفعل ما، والتي تكشف وتعبر التعبير البليغ عن جوارح الإنسان وانفعالاته وعواطفه وردود فعله فبابتسامة صفراء أو غضب يحمر منه الوجه، يكتشف المستور، وتتضح حقيقة يحاول إخفاءها، إذن فبحركة جسدية عفوية اتضح ما لا يجب أن يتضح فكانت حركة معبرة صادقة غير كاذبة عن انفعاله، وأسقطت كل الأقنعة التي قد يختبئ المرء من وراءها .

و تبعا لدور أهمية هذه اللغة " لغة الإشارة" في عملية التواصل و ما تحمله من دلالات وما توصله من أفكار، فإن الباحث في سيرة المصطفى عليه الصلاة والسلام والتي لها وقع في نفوس المسلمين، يجد أنها لا تخل بمبادئ تعليمية هادفة ومن تلك المبادئ استخدامه صلى الله عليه وسلم لكل وسيلة بصرية أو سمعية تؤكد المعنى وتعزره ، فيتعين على باحثها إبراز مقاصد الحديث النبوي وفهم معانيه والغوص فيها والتعرف على ما يرمي إليها صاحبها علية أفضل الصلاة وأتم التسليم .

وفي كنف هذا التصور الرحب يندرج موضوع هذا البحث الذي نحن بصدده و الموسوم ب: " دلالات استعمال الإشارة من خلال أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم " لتحظى بشرف معرفة الأبعاد الدلالية

للإشارة بمختلف أنواعها وأغراضها في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، إسهاما في خدمة السنة النبوية المطهرة، ومحاولة تأصيل هذه اللغة " لغة الإشارة " في الموروث العربي .

ويقوم هذا البحث في جوهره على فكرة رئيسية تلخصها الإجابة عن الأسئلة التالية:

- ما حقيقة دلالة الإشارة في اللغة والاصطلاح ؟

- ما الدور الذي تلعبه لغة الإشارة في عملية التواصل الإنساني؟

- هل كان لعلماء التراث اللغوي دور في إثراء هذا الدرس اللغوي ؟

- ماهية الإشارة عند علماء النحو؟

- ما مفهوم الإشارة في الدراسات الحديثة ؟

- ما هي دلالات الإشارة في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ؟ و ما الأغراض التي تحملها هذه الدلالات ؟

ومن هذا المنطلق فقد ارتأيت أن أقسم هذا البحث إلى :

- مقدمة

- مدخل : خصص لعرض الجهاز المفاهيمي لمصطلحي الإشارة والعلامة، والدور الذي تلعبه لغة الإشارة في عملية التواصل .

- الفصل الأول: تتأسس الأرضية النظرية لهذا الفصل عل ثلاث نقاط رئيسية تتمثل في تناول مصطلح الإشارة عند علماء التراث اللغوي والنحوي، ثم عند علماء أصول الفقه، ومن ثم عند علماء الدرس اللساني الحديث.

والفصل الثاني تطرقت فيه إلى معرفة جميع أنواع الإشارة في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم وعرضت لكل نوع الغرض الذي يحمله.

و خاتمة ضمناها لأهم نتائج المتوصل إليها خلال البحث.

معيقات الدارسة :

لا شك في أن ما من دراسة علمية إلا وتعترضها صعوبات جمة أدركتها بتوفيق من الله، ثم بنصائح أساتذتي الكرام الأستاذ شتيح بن يوسف والدكتور غربيز محمد والدكتور عامر بن مسعود . حيث بتوجيهاتهم الحكيمة وبرحابة صدورهم استطاع هذا العمل أن يخرج إلى الوجود وتكتمل أجزاءه في ظل ندرة الدراسات بهذا الموضوع وضبط المصطلح في الدراسات اللسانية والسيميائية .

أهداف الدراسة:

1- اكتشاف القدرات التعبيرية في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم .
2- رصد تقنيات استخدام الإشارة في الأحاديث النبوية .
3- إبراز الجاني الشريعي والتربوي والتعليمي في الإشارات التي يستخدمها الرسول صلى الله عليه وسلم .

منهج الدراسة :

إن المنهج المعتمد الذي ستقوم عليه الدراسة بعون الله تعالى هو اعتماد المنهج الوصفي التحليلي وقد تمثل ذلك أثناء تعامل مع ما ورد في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم .

من أهم المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها في كتابة هذا البحث هي:

المصادر: (صحيح مسلم)و (وصحيح البخاري) (فتح الباري لابن حجر العسقلاني) (عمدة القاري لابن أحمد العيني) (شرح صحيح مسلم للنووي) (البيان والتبيين للجاحظ 255ه) (الخصائص لابن جني ت 392ه)(العمدة لابن رشيق ت 456ه) (دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة للجرجاني ت 471ه) (شرح المفصل لابن يعيش) (الكتاب لسبويه) (المستصفى للغزالي ت 505ه)(المحصول للدرزي ت606ه)(أصول السر خسي ت483ه)(الإحكام للأمدي ت 631ه) (علم اللغة العام فرديناند دي سوير) (علم الدلالة احمد مختار عمر) .

ولقد ألزمت نفسي أن آخذ من صحيحي البخاري ومسلم فقط حتى أبعد عن بحثي شبهة الحديث الضعيف ولما لهما من قيمة ووقع في نفوس الخاصة والعامة فارتأيت أن أتقيد بما ورد فيهما.

وأسأل الله أن يكون عملي هذا خالصا لوجهه الكريم، وأن ترقى محاولتي هذه إلى بلوغ درجة البحوث التي تلقي بعض الضوء على ماضي لغتنا العربية من كنوز وإن أخطأت فهذا من صفات النفس، والله من وراء القصد .

تمهيد:

الإشارة في القرآن الكريم :

لم يرد لفظ الإشارة في القرآن الكريم إلا في آية واحدة وهي قوله تعالى : " فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا " مريم /29.

وجاءت آية أخرى لم تذكر لفظ الإشارة مباشرة ولكن تفسيرها يعني كذلك وهي ما جاء في قصة زكريا بقوله تعالى "آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا " آل عمران/41 أي إشارة.[1]

لغة : مأخوذة من فعل شاور وهي إظهار الشيء والإيماء إليه .

يقول ابن منظور " أشار إليه وشور: أومأ ، يكون ذلك بالكف والعين والحاجب وشور إليه بيده أي أشار ويقال أشار الرجل إشارة أومأ بيده .

ويقال: شورت إليه بيدي و أشرت أي لوحت إليه و ألحت أيضا[2] " .

وجاء في معجم الوسيط: " أشار إليه بيده أو نحوها : أومأ إليه معبرا عن معنى من المعاني كالدعوة إلى الدخول أو الخروج ، ويقال أشار عليه بكذا نصحه أن يفعله مبينا ما فيه من صواب.

والإشارة تعني : "تعيين الشيء باليد ونحوها .والتلويح بشيء يفهم منه المراد".[3]

والإشارة :" مأخوذة من فعل شور : الشين والواو مطردان: الأول منهما إبداء الشيء وإظهاره وعرضه، والأخر أخذ الشيء"[4] .

---

[1] تفسير القرآن الكريم،ابن كثير الجزء الاول.

[2] لسان العرب، ابن منظور، دار صادر ،بيروت–لبنان،ط ج،ج7،ص160،مادة شور.

[3] معجم الوسيط،معجم اللغة العربية ،دار المعارف،مصر،ط2،1972م، ج1ص499.

4 مقاييس اللغة ،أبي الحسين بن فارس بن زكريا الرازي،دار الكتب العلمية ،بيروت–لبنان ،1971،م1،ص163.باب الشين والراء وما يثلثهما.

"وأشار إليه باليد وأشار عليه بالرأي . والشوار والشارة اللباس والهيئة"[1].

اصطلاحا:

في اصطلاح القدامى:

عرفها الجرجاني:" هو الثابت بنفس الصيغة من غير أن يسيق له بالكلام...و(اسم الإشارة هو ما وضع لمشار إليه و لم يلزم التعريف دوريا، أو بما أخفى منه، أو بما مثله لأنه عرف اسم الإشارة الاصطلاحية بالمشار إليه اللغوي[2])".

وجاء في كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي أن الإشارة هي :" معناها بديهي وهي قسمان : إشارة عقلية وإشارة حسية .وللإشارة ثلاث معاني :

الأول المعنى المصدري الذي هو فعل: أي تعيين الشيء بالحس، الثاني المعنى الحاصل بالصدر وهو الامتداد الموهوم الآخذ من المشير المنتهي إلى المشار إليه. وهذا الامتداد قد يكون امتدادا خطيا، فكأن. خرجت من المشير وتحركت نحو المشار إليه فرسمت خطا انطبق طرفه على نقطة المشار إليه. وقد يكون امتدادا سطحيا وقد يكون امتدادا جسميا. والثالث تعيين الشيء بالحس بأنه هنا أو هناك أو هذه بعد اشتراكها في أنها لا تقتضي كون المشار إليه بالذات محسوسا بالذات [3]".

في اصطلاح المعاصرين:

يعرفها السجلماسي قائلا: " و الإشارة عند الجمهور مثال أول لقولهم: أشار كأنه الإيماء إلى الشيء والإلمام نحوه، وهو منقول إلى هذه الصناعة والموضوع فيها على العبارة عن المعنى بلوازمه وعوارضه المتقدمة أو المتأخرة أو المساوقة ،من غير أن يصرح لذلك المعنى بلفظ أو قول يخص ذاته وحقيقته في موضوع اللسان [4]".

---

[1] مقاييس اللغة ،أبي الحسين بن فارس بن زكريا الرازي،دار الكتب العلمية ،بيروت–لبنان ،1971،م1،ص163.باب الشين والراء وما يثلثهما

[2] التعريفات،الشريف الجرجاني الحنفي، دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان،ط1،2000،ص30.

[3] كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد علي التهانوي، تح :علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون،بيروت،لبنان،ط1،1996، ج2،ص201.

[4] المترع البديعفي تجنيس أساليب البديع،أبومحمد القاسم السجلوماسي،تح:علال غازي الدار التونسية،ط1،1980،ص252.

وهي:" اتصال غير شفهي له لغة قائمة في حد ذاتها، لها نماذجها المستقلة عن لغة اللسان وان ترافقت معها في كثير من الأحيان، حيث يستعمل الناس الإشارات والحركات الجسدية إما كمرادف لما يقولونه شفهيا، أو لإخفاء شعور باطني أو للإيحاء باتجاه معين[1] ".

وعليه فإن مفهوم الإشارة اللغوي لا يختلف معناها الاصطلاحي إذ هي اتصال غير لفظي يعتمد الإيماءات والحركات والرموز للتعبير عن المعاني.

والجدير بالذكر في مبحث الإشارة أن مفردات لغوية أخرى تشارك لفظة الإشارة في (العلامة) (الوسم) (الأمارة) (الشفرة) (الشارة). و لعل ذلك راجع لأن الإشارة حقل واسع وعلم جديد ومنها ما هو رديف الإشارة نحو "العلامة. وقد ارتأينا هذا المفهوم ليس لأننا نميل إلى الخلط في المصطلح بعامة ومفردة العلامة التي شاركته في الاستعمال اللغوي .

فالعلامة **لغة:** "السمة، وقال ابن سيدة: والعلامة والعلم الفصل يكون بين أرضين والعلامة شيء ينصب في الفلوات تهدى به الضالة وبين القوم أعلوهم يقول تعالى:" **وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ** " قالوا الأعلام :الجبال[2]."

اصطلاحا:

والعلامة:"و هي التي يلزم من العلم بها الظن بوجود المدلول كالغيم بالنسبة للمطر فإنه يلزم من العلم به الظن بوجود المطر[3]".

" وعلامة الشيء تكون قبله،كالغيوم والرياح علامات المطر[4]" .

ومنه فالإشارة و العلامة هما ذلك الممثل الذي يستعمله الإنسان لينوب عنده عن فكرة أو موقف أو عاطفة يتوجه بها إلى متلق، وهما حاصل اجتماع (دال) و (مدلول) فالدخان علامة للنار كما في إشارته على وجود النار.

وما يغنينا في دراسة هذا الجانب هو نوع خاص من الإحالة وهذا النوع يطلق عليه في كثير من الأبحاث الحديثة ب "علم الإشارة" والذي يعنى بدراسة وتحليل لغة الجسم لكونها ذات جاذبية والأثر الفاعل في التغلغل

---

[1] لغة الجسد،الخور فؤاد اسحاق،دار الساقي للطباعة والنشر،بيروت،لبنان،ط1،2000،ص01.

[2] لسان العرب،ابن منظور،م10،مادة علم،ص263.

[3] التعريفات،الجرجاني،ص39.

[4] الفروق اللغوية،أبي هلال العسكري،تح:محمد إبراهيم سليم،دار المعارف والثقافة،النصر، القاهرة،ص71.

في النفس البشرية وهو ضرب من ضروب الحوار غير اللفظي الذي يعتمد على الحركات الصادرة عن جسم الإنسان بجانب الأصوات أو بدلا عنها يقول محمد عزيز حبابي :" الإشارة تنقل التواصل من ميدان القول إلى التخاطب الصامت إلى الإيماء حوارا دقيقا مبينا فلما يحصل فيه سواء تفاهم بين المتحاورين[1]" .

الأساليب المستخدمة في لغة الإشارة :

1 حركة اليدين: يعتمد الإنسان عند التعبير إلى استخدام يديه أو أصابعه في الكثير من حواراته .

2 لغة العين: أعظم نعمة انعم الله عليها بعباده هي نعمة البصر، وتعتبر أول حركة يستخدمها الإنسان في تواصله مع الآخرين.

3 حركة الكتفين :يعد المنكب أو الكتف من الحركات التي تصدر عن الإنسان خلال حديثه مع الآخرين وهو الكتفين يدل على عدم القبول في ثقافتنا العربية .

4 حركة الرأس: تدخل حركة الرأس كإشارة للتعبير عن بعض المعاني فتحريك الرأس أفقيا من اليمين إلى اليسار أو العكس يدل على قولنا "لا" أما الإيماء بالرأس الأسفل فتعني "نعم".

قال تعالى" **وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ**".المنافقون/5

5 حركة الجسم: تلعب حركات الجسم دورا هاما في تعزيز الاتصال غير اللفظي قال تعالى:" **وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ**".

وتدخل هذه الأساليب كإشارة مساعدة لا يمكن الاستغناء عنها للخروج ببيان سليم وتعبير قويم وهذا ما سيتم الحديث عنه لاحقا بتوضيح أدق .

[1] تاملات في اللغة واللغو،محمد عزيز حبابي،الدار الجامعية،للكتب،ليبيا،1980،ص59.

وتنقسم هذه الإشارات المصاحبة للعملية إلى فطرية ومكتسبة:

1 الحركات الفطرية:" هي شيء نحس به داخلنا ولكننا لا نفهم كنهه فالإيماءات والحركات ليست مكتسبة على إطلاقها كما أنها ليست موهوبة، وإنما تتضافر الفطرة السليمة مع دلال العقل التام السوي في إدراك وتقرير جانب من الأخلاق ثم يأتي دور الشرع ليكمل الفطرة[1] ".

2 الحركات مكتسبة: " قد كان للشرع والحضارة العريقة والفتوحات الإسلامية والحركات السياسية والطبيعية المجاورة، أكبر الأثر على الشعراء والأدباء فا أيما إنسان يستطيع أن يكتسب حركاته ولغته الجسدية بالتربية المقترنة وبالإرادة والقيم، والناس في ذلك متفاوتون بمدى سبقهم وارتقائهم في سلم الفضائل كلهم بما وهبه الله من استعداد عام لتعلم الفنون العلمية و العملية"[2].

إضافة إلى ما هو فطري ومكتسب هناك إيماءات مختلطة بحيث لا يستطيع أن يتعرف عليها المستقبل ما إن كانت فطرية أو مكتسبة فمثلا الابتسامة قد تكون مكتسبة وقد تكون فطرية.

إذن فلغة الإشارة قد تكون إرادية وقد تكون غير إرادية كما وقد تكون مقترنة في نفس الوقت صادرة عن الجسم الإنساني بأكمله أو بجزء منه لإرسال رسالة انفعالية إلى المحيطين بالإنسان.

دور الإشارة في التواصل الإنساني:

يشكل الاتصال الإنساني عاملا مهما في تقوية الصلات الإنسانية، وقد مارسه الإنسان منذ القدم في اتصاله بالآخرين، فبعد أن خلق الله تتعالى البشرية آدم عليه السلام أمره بإنباء الملائكة بأسمائهم قال:" **قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنبَأَهُم بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ**" البقرة/33.

وفي شرح هذه الآية يقول الأصفهاني: " تشير هذه الآية وجود طرفين منبئ (وهو آدم) وهو ومنبئين (وهم الملائكة)، كما تشير إلى ما قام به آدم عليه السلام وهو الإنباء، والنبأ هو خبر ذو فائدة عظيمة يحصل به علم[3]".

---

[1] دراسة حول لغة الجسد ودورها في التواصل مع الآخرين رابط: http://iraq:irlvb/showthiead. التواصل غير اللغوي في القصص القرآني، نزيهة روينة،جامعة محمد خيضر،كلية الآداب و اللغات قسم اللغة و آدابها، الجزائر،نوفمبر،2014،ص12.

[2] المفردات في غريب القرآن،الراغب الأصفهاني، تح: محمد خليل عيتاني،دار المعرفة،بيروت- لبنان،1998،ص482.

و الإنباء هو الاتصال لأن كلاهما هو عملية لنقل الأفكار والمعانين وقد تكون نطقية أو غير نطقية تمثلها عناصر الاتصال المتمثلة في:

1 المصدر أو المرسل: و هو باث الرسالة، في الحوار، والمتكلف بها وقد يكون فردا أو جماعة تريد تبليغ فكرتها والتأثير في الآخرين قد تكون كلمة أو علامة ويقدم سلامة محمد مثالا عن الظواهر الطبيعية بقوله :" أنها ليست مرسلة ،إنما مؤشرات فالبرق والرعد يرسلان رسالة بقصد التأشير لنا و إعلامنا بقرب تساقط المطر، وكذلك الحال في ألوان الإشارة الضوئية ،فهي مؤشر يعطينا دلالة معينة توجه سلوكنا للوقوف أو المرور."[1]

2 الرسالة: "وهي مجموعة من الأفكار والمفاهيم أو المهارات، أو المبادئ، أو القيم، أو الاتجاهات التي يرغب المرسل في توجيهها لمن هم في حاجة إليها من الأفراد أو الجماعات لإشراكهم فيها، ومن الأمثلة مجموعة من الحقائق العلمية التي يقدمها المدرس لتلاميذه[2]".

3 الوسيلة :"وهي الأداة التي تنقل الرسالة من المرسل إلى المستقبل وقد تكون سمعية مثل محاضرة، أو بصرية مثل رسمة أو حركة ،أو سمعية بصرية مثل التحية بالكلام مع ابتسامة، وقد تكون أكثر من حاستين مثل سمع وبصر و لمس[3]".

4 المستقبل: وقد يكون فردا أو جماعة من المستمعين أو المشاهدين غلى المرسل بتلقي الرسالة.

وعادة ما تتم الإشارة إلى أن الاتصال يتم عن طريق اللغة فيقول حسام الدين كريم ردا على ذلك " إذا كانت اللغة نظاما من العلامات أو ضربا من السلوك، فإنها ليست النظام أو السلوك الذي يستعمله الإنسان للتواصل مع غيره، فهناك أنظمة أو أنماط سلوكية غير لغوية تصاحبها أو تدعمها مثل التعبير الجسمي[4]" .

إذن فالاتصال الإنساني لا يقتصر على المنطوق فقط، بل يعتمد الحركات الإشارية الصادرة عن جسم الإنسان والتي تلعب دورا مهما في تبليغ المعاني والأفكار والأحاسيس.

فلا شك أننا نجتمع مع غيرنا ونحاورهم ونميل في كثير من لقاءاتنا إلى الكلام معهم عن طريق الإيماءات والإشارات، فالإشارة وسيلة من وسائل التواصل بين بني البشر، وهي عامل حيوي يعود الإنسان على استنطاق سائر أعضاء جسده، إذ هي أيضا التعبير عن الأفكار والمشاعر قبل كل شيء، لأنها كما أسلفنا الذكر

---

[1] الاتصال ووسائله،سلامه محمد غبارى عبد الحميد عطية،المكتب الجامعيالحديث،محطة الرمل،الاسكندرية،1998،ص26

نفسه:ص27.

[3] علم لغة الحركة،محمد عريب عيد ،دار الثقافة ،عمان- الأردن،ط1،2010،ص33.

[4] الاشارات الجسمية ،حسام الدين كريم،دار غريب،القاهرة،ط2،2001،ص9.

هي حركات فطرية استعملها الإنسان في تواصله مع غيره. يقول محمد عريب: " استخدم الإنسان أشكال اتصال بدائية، أخذت تتعاظم إذ عبر بجسده عن حاجاته وأفكار، وأحاسيسه و لم تفقد لغة الحركة شيئا من صلاحيتها وأهميتها في تكميل اللغة النطقية وتوضيحها، ولا سيما إن قصرت اللغة النطقية في بعض المواقف فكانت لغة الحركة هي الدور التقليدي الذي يسبق الدور النطقي[1]".

وقد أثبتت معظم الدراسات والبحوث العلمية أن حوالي 55بالمئة من المعنى يتم نقله من خلال لغة الجسم و 38بالمئة من المعنى يتم نقله من خلال الصوت، وفي دراسة أخرى أثبتت أن الرسالة التي يريد المرسل إرسالها إلى المستقبل تصل بنسبة 20بالمئة عن طريق الاتصال اللفظي وبنسبة80بالمئة عن طريق الاتصال غير اللفظي، وفي دراسة ثالثة وصلت فيها نسب الاتصال غير اللفظي إلى ما يقارب 90بالمئة من المعاني وبصفة خاصة في الرسائل التي تتعلق بالأحاسيس والشعور، ويضيف من خلال دراسة رابعة قام بها (آلان بيز Allen Beez) و المنشورة في كتابه عن لغة الجسم و وجد أن 65بالمئة من عملية الاتصال عند الإنسان تتم بطريقة غير لفظية[2]".

وعليه يمكننا القول بأن ما توصلت إليه الدراسات والأبحاث العلمية التي قام بدراستها الدكتور مدحت أبو النصر أوضحت بشكل كبير الدور الذي تقوم به الإشارات والحركات والإيماءات غير اللفظية في التواصل الإنساني كما تحمل في ثناياها عشرات الأضعاف من الكلمات النطقية في تبليغ الرسائل والتأثير في الآخرين .

وتجدر الإشارة على أن الاتصال اللفظي ورفع مقامه في عملية الاتصال إما أنه قد لا يفي بتوصيل الحقائق والمعلومات إلا باقترانه بالوسائط غير اللغوية وغير الصوتية، وهذه الوسائط قد رافقت البشر ومازالت ترافقهم ،فثمة تواصل بالدلالات الرمزية ،و الإشارية والتصويرية ونحو ذلك مما يحيل على أشياء معينة تدل على معان وتفاهمات لكن بدون الحاجة إلى العملية الكلامية أو الصوتية مثل: الرسومات ورموز الصم والبكم فهذه الأمثلة وغيرها أنظمة تواصل غير لفظية يمارسها الإنسان مقترنة مع العملية الكلامية أو منفردة لوحدها، فاللغة الصوتية إذن قد لا تحقق الفكرة ولا تهدف إلى المراد، فليجأ الإنسان إلى اللغة غير الصوتية ليعزز بها كلامه.

وأصناف الدلالة على المعاني من لفظ وغير لفظ خاضعة لنوع الحاسة التي تعرف من خلالها وأحيانا تستبدل بحاسة أخرى نتيجة ظروف معينة قال تعالى: " إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا "الاسراء/36

[1] المرجع السابق:ص36.

[2] ينظر:لغة الجسم،دراسة في نظرية الاتصال غير اللفظي، د.مدحت محمد أبو النصر،مجموعة النيل العربية،مصر،القاهرة،ط1،2006،ص73.

يقول محمد كشاش عن اصناف الدلالة "شاهدها الصم البكم الاشارية التي ترقى في جذورها إلى اللغة السمعية ومنسوخة عنها فبالحركة يعلم هؤلاء العجزة اجراءات اللغة عند الآخرين حيث يضعون في حال تمكنهم من التحادث فيما بينهم ومن قراءة ما يكتبه من يتكلمون ويسمعون، فإنما يجري لهم استبدال حاسة مكان حاسة لوضعهم في حال يتفاهمون بالعلامات. ومثلهم لغة العميان التي استبدلت فيها المنظور بالملموس من أشهرها لغة بريل Brille التي تستخدم نقاطا بدل الحروف تدرك باللمس"[1].

وقد تعرضت لغة الإشارة للنقد وهذا ما أوضحته إحدى الدراسات والتي جاء فيها:" تعرضت الطريقة الاشارية في السابق إلى النقد من أنصار الطريقة الشفوية وتم منع هذه الطريقة في المؤتمر الدولي الذي انعقد عام 1880 في مدينة ميلانو وفرض الطريقة الشفوية التي بقيت الوحيدة المعترف بها خلال قرن تقريبا في أوربا الغربية وبعض الجهات في الولايات المتحدة[2] ".

لكن هذا يعتبر ظلما ضد من لا يحسن النطق أو الذي لا يسمع (الصم البكم) وفي الأخير قد حظيت لغة الإشارة بالاهتمام والعناية من قبل بعض الدارسين " وعاد الاهتمام بلغة الاهتمام بلغة الإشارة من ستينات هذا القرن إذ نما الوعي لدى الصم الأمريكيين أن فرض الأسوياء عليهم اللغة الشفوية نوع من التسلط والتدخل في أمورهم[3]".

وبناءا على هذا فإن لغة الإشارة عي لغة قائمة بحد ذاتها، تمنح اللغة اللفظية غنى وعمقا نظرا لأن الكلمات وحدها لا يمكن أن تنقل كل المعاني من المرسل إلى المستقبل وهذا من خلال ما ذكرناه سابقا وما قامت به البحوث والدراسات العلمية و التي أوضحت أن الإشارات والإيماءات والحركات غير اللفظية تحمل في طياتها أضعاف تأثير الكلمة في الرسالة .

وتختلف لغة الإشارة من بلد إلى آخر ومن جهة إلى جهة أخرى وفقا لثقافة وتكوين بيئة من تتحدث إليه لأن البيئة الثقافية والاجتماعية تلعب دورا مهما في تحديد لغة الإشارة وفهمها ومن الأمثلة عن الاختلافات الثقافية في التعبير بالإشارات ما جاء به الدكتور مدحت محمد أبو النصر في أبحاثه:

1 في بعض أجزاء العالم اللاتيني من الأعراف اللائقة اجتماعيا أن ننظر النساء للأسفل عند التحدث إلى الرجل هو دليل لفقدان الأمان وعدم الثقة والخداع.

---

[1] اللغة والحواس، د. محمد كشاش،المكتبة العصرية،بيروت-لبنان،ط1،2001،ص94.

[2] لغات الإشارة العربية والغربية وكيفية التعامل بها،الرابط: http//:www.startimes.com

[3] نفسه.

2 تستخدم إيماءة الرأس للدلالة على الفهم والاستحسان والإنصات كما يفعل الهنود مثلا عند التحدث مع بعضهم البعض، حيث نجد أن إيماءة الرأس تكون مستمرة باستمرار الحديث اللفظي .

3 هز الرأس يعني انك غير موافق وفقا للثقافة الفرنسية، في حين تعني أنك موافق في الثقافة الهندية وكذلك العربية .

4 الإشارة بالإصبع تعبر انك تحتقر الشخص الذي أمامك وفقا للثقافة الصينية والإشارة بالإصبع الأكبر تعني أنك راض تمام الرضا وفقا للثقافة الأمريكية.

5 الدعوة بالابهام طريقة شائعة لدعوة شخص آخر، وربما يمكن تفسيرها في ظروف معينة بأنها تنطوي على شيء من التواقح، ولكنها عادة لا تحمل هذا المعنى أما في اليابان واندونيسيا وهونغ كونغ واستراليا فهي تستخدم على وجه الحصر لدعوة الحيوانات وبالتالي فإن توجيهها يعتبر إهانة .

6 إيماءة أنك مجنون تعتبر إهانة خطيرة في ألمانيا إلى درجة أن عقوبتها قد تكلفك السجن ".[1]

[1] لغة الجسم ،مدحت أبو النصر ،ص ص174-175

تمهيد:

لقد لقيت اللغة في مختلف جوانبها و أدواتها، اهتماما كبيرا من الباحثين والدارسين قديما وحديثا، وشغلت حيزا واسعا من الفكر الإنساني خلال تاريخها الممتد عبر الزمان والمكان، و لم يكن الاتصال غير اللفظي بمنء ولا بمعزل عن هذا الدرس اللغوي والبحث المتنوع ، لقد تضافرت عليه علوم وافرة، واشتغلت أمم كثيرة على درسه وكشف أسراره وغوامضه واستكناه مقاصده ومراميه، ومن هنا فقد أدت لغة الإشارة والتواصل الجسدي دورا مميزا في تحقيق الترابط والتفاهم الاجتماعي بين الناس على أن المعنى قد لا يتوصل إلى معرفة كنهه والوقوف على مقصده بالاعتماد على مرموز اللغة اللفظية فقط ،مع انه المرموز الأم ،وذلك أنه في أحايين كثيرة لا يكون وسيطا مثاليا ،وقد يكون قاصرا على حمل المعاني والمقاصد الذهنية الكثيرة والمتعددة عند الإنسان، ومن هنا يصبح من الضروري اعتماد الإيماءات غير اللفظية الأخرى مثل الإشارة و الخط والنصبة والعقد وغيرها من لغة الإشارة فكلها تشير إلى أن اللغة اللفظية بحاجة إلى روافد جانبية لتحقيق هدف الإبلاغ والتواصل بين البشر.

ومن هذا المنطلق ارتأينا أن نتطرق إلى لغة الإشارة عند علماء التراث اللغوي وثم عند النحاة وثم عند علماء أصول الفقه ،و عند الدراسات الحديثة .

المبحث الأول:

الإشارة عند علماء التراث العربي:

يعد التراث العربي مكون من فاعل في البناء والهرم المعرفي لأية أمة ،وأثر أصيل في وعينا الراهن كما أنه ركن من أركان العطاء الحضاري .

فمفهوم الإشارة عند علماؤنا في التراث العربي وبالرغم من أنه تيمة مشار إليها في تراثنا العربي إلا أنه لا توجد دراسة مستقلة قائمة بذاتها اختصت بهذا النوع من الدرس اللغوي لكن هذا لا يخفي ولا ينكر مجهوداتهم التي استوقفها هذا النوع من البيان في كثير من دراساتهم ولعلى أول من لفت الأنظار إلى هذه الوسيلة الاتصالية هو الجاحظ ،فحدد معالمها وفصل أنواعها وذلك من خلال حديثه وعرضه لوسائل البيان المصاحبة للعملية الكلامية .

1/ عند الجاحظ : ت255ه.

لا يكاد يخفى على أي مطلع على التراث اللغوي مانة الجاحظ اتجاه الدرس الدلالي، ملتفتا إلى تعدد أوجه والدلالات على المعاني وهو ما أطلق عليه باسم أصناف الدلالات على المعاني في كتابه البيان والتبيين و"جميع أصناف الدلالات على المعاني من لفظ وغير لفظ ،خمسة أشياء لا تزيد ولا تنقص أولها اللفظ ثم الإشارة ثم العقد ثم الخط ثم الحال التي تسمى النصبة والنصبة هي الحالة الدالة التي تقوم مقام الأصناف [1]"فجعل لكل بيان وسيلة وفيما يلي سنعرض تحديده لدلالة الإشارة إذ يقول :" أما الإشارة فباليد ،وبالرأس ،وبالعين، وبالحاجب، وبالمنكب، إذا تباعدا الشخصان، وبالثوب، وبالسيف وقد يتهدد رافع السوط أو السيف فيكون ذلك راجزا ومانعا رادعا، ويكون وعيدا وتحذيرا[2]" ،وقد تأتي دلالة الإشارة أحيانا مقترنة بالعملية الكلامية فيقول :" الإشارة شريكة اللفظ، ونعم العون له، ونعم الترجمان هي عنه"[3].

وفي أحايين أخرى قد تأتي سابقة للكلام فيقول:" لولا الإشارة لم يتفاهم الناس معنى خاص الخاص...وهذا ما بلغ الإشارة أبعد من مبلغ الصوت وهذا أيضا باب تتقدم فيه الإشارة الصوت[4]".

---

[1] البيان والتبيين،الجاحظ، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي،القاهرة،ط7،1998،م1،ص76.

[2] نفسه،ص79.

3 نفسه،ص78.

[4] البيان والتبيين،ص 78-79.

ومن خلال هذا يجدر بنا الإشارة إلى أن هناك من يعتقد أن الإشارة إذا تم توظيفها أثناء الكلام فهذا دليل عجز ونقص العبارات فيستشهد الجاحظ على ذلك بقوله:" كان أبو شمر إذا نازع لم يحرك يديه ولا منكبيه، ولم يقلب عينيه ولم يحرك رأسه حتى كأن كلامه إنما يخرج من صدع صخرة ...ومذهبه أن المنطق ليس من حقه أن يستعان عليه بغيره، وبقي أبوشمر على هذا الحال ،إلى أن كلمه إبراهيم بن سيار النظام فاضطره بالحجة، وبالزيادة في المسألة فصار يستردفها ويستعين بها على البيان والإفهام، وغدا يحرك بيديه ويحل حبوته و أخذ بيده[1]".

واستشهد على من يحسن استخدام الإشارة بالرغم من أنه من كبار البلغاء فيقول :" إذا كان أنطق الناس فقد جمع الهدوء والتمهل، والجزالة والحلاوة، وإفهاما يغنيه عن الإعادة ولو كان في الأرض ناطق يستغني بمنطقه عن الإشارة لا ستغنى جعفر عن الإشارة [2]" .

وبناءا على ما سبق يتبين أن الجاحظ قد أكد على أهمية دلالة الإشارة في التواصل الإنساني بجانب اللفظ، إذ هي النائبة عنه و الشارحة لمعانيه، سواء ارتبطت به أو انفصلت عنه .فإن غابت اختل المعنى وحصل العجز عن فهم المقصود، وهذا ما يجعلنا نتساءل هل بقيت الإشارة بعد الجاحظ تملك خصوصيتها ومزيتها لدى العلماء الذين جاءوا من بعده أم تاهت دلالتها وانمحت معالمها، وجردوها من مكانتها وجعلوها تدور في فلك ائتلاف اللفظ وهذا ما سنعرض له لاحقا.

الإشارة عند قدامه بن جعفر:(ت 337ه)

تكلم قدامه عن ائتلاف اللفظ والمعنى وجعل هذا النوع من أنواع الإشارة ثم عرفها قائلا:" أن يكون اللفظ القليل مشتملا على معاني كثيرة بإيماء إليها، أو لمحة تدل عليها[3]".

ومن هذا التعريف نرى أن مصدر الدلالة هواللفظ وليس الإشارة –كما يرى- وابتعد في مفهومه هذا عن الحركة والإيحاء ويقول مستشهدا على الإشارة ،بقول امرؤ القيس :

فإن تهلك شنؤة أو تبدل فسيري فإن في غسان خالا

بعزهم عززت وإن بذلوا خذ لهم أنا لك ما أنا لا

[1] نفسه،ص91.

[2] نفسه،ص 79.

[3] نقد الشعر،قدامة بن جعفر،ط1،2015،ص26.

ثم قال: "فبينة هذا الشعر على أن ألفاظه مع قصرها قد أشير بها إل معان طوال[1]".

ومن هذا التعليق نجد أن قدامه –رحمه الله– يبعد دور الإشارة الحقيقية الصادرة عن الحركات الجسمية في تكوين المعنى وهذا ما وجدناه في البيت الشعري الذي سبق ذكره أنه لا إشارة فيه، ولا ما يدل عليها لا من قريب أو بعيد، اللهم إلا أذا اعددنا الكناية و الرمز من قبيل الإشارة وعلى هذا المنوال ظل قدامه يتابع شواهده وجميعها تدور في فلك الإيجاز ،أو الكناية أو التمثيل، ولعل الذي دفع به إلى هذا الانزياح أنه معني ببيان دروب المعاني الشعرية ،من حيث مساواتها مع اللفظ أو زيادتها عليه .

وقد جعل الإشارة نوعا من أنواع ائتلاف اللفظ مع المعنى، وهذا الائتلاف قد يكون فيه اللفظ مساويا، أو زائدا عليه، كما هو الحال في باب الإشارة ،وهذا يعني أن الإشارة عنده مساوية للفظ.

2/ عند ابن جني: ت392ه

تطرق ابن جني لمحددات المعنى من خلال كتابه الخصائص اللفظية وغير اللفظية فاستوقفته هذه الأخيرة في مواضع متعددة مبرزا بعدها الجمالي الذي تحمله ومبينا الدور الذي تلعبه في التبليغ عن المراد ومن أمثلة ذلك:

1- إيماء العين:

عرض ابن جني بابا بعنوان " باب القول على الفصل بين القول والكلام فيقول: " فمعنى (ق و ل) أينما وجدت وكيف وقعت ،من تقدم حروفها على بعض وتأخره إنما للخفة والحركة [2]"و(ك ل م)حالها حال صاحبتها، وذلك أنها حيث تقلبت فمعناها الدلالة على القوة والشدة"[3] ويستشهد بقول الشاعر:[4]

وقالت له العينان سمعا وطاعة وأبدت كمثل الدر لما يثقب

ويعلق ابن جني على هذا البيت قائلا :" فأما قوله : وقالت له العينان سمعا وطاعة فإنه وإن لم يكن منها صوت فإن الحال أذنت بأن لو كان لها درجة نطق لقالتا سمعا وطاعة".

---

[1] نفسه،ص26.

[2] الخصائص،أبي الفتح عثمان ابن جني ،تح: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، القاهرة، ج1،ص5.

[3] نفسه،ص22.

[4] نفسه،ص41.

2- قراءة الشفتين: "الإشمام"

والإشمام هو:" أن تضم شفتيك من غير صوت وهذا يدركه البصير دون الضرير[1]" و أورد ابن جني مثالا لذلك :

متى أنام لا يؤرقني الكرى ليلا فلا أسمع أجراس المطي

" بإشمام القاف في "يؤرقني" ومعلوم أن هذا الإشمام ،إنما هو للعين لا للأذن لأن الإعمال للشفتين في الإشمام [2]".

3- التنغيم وحركة الجسد:

لقد نالت دلالة الإشارة لدى الجاحظ حظا واسعا فنجده أوردها في باب في " باب الشجاعة العربية" من خلال حديثه عن حذف الصفة وهذا الضرب من وسائل البيان لم يسبقه إليه سابق قائلا:" وكذلك نقول سألناه فوجدناه إنسانا ! وتمكن الصوت "بإنسان" وتفخمه، فتستغني بذلك عن وصفه بقولك : إنسانا سمحا أو جوادا أو نحو ذلك [3]" كما أعطى مثال على تبدل نبرة الصوت فيقول :" كأنك تقول في مدح إنسان والثناء عليه فتقول: "كان والله رجلا فتزيد في قوة اللفظ ب (الله) وتمكن في تمطيط اللام وإطالة الصوت بها (وعليها)قلت رجلا فاضلا أو شجاعا أو كريما ...وكذلك إن ذممته و وصفته بالضيق أي قلت سألناه وكان إنسانا وتروي وجهك وتقطبه، فيغني ذلك عن قولك إنسانا لئيما، أو بخيلا أو نحو ذلك[4]."

4- الخبر والمعاينة:(العين والأذن):

أقر ابن جني أن الاستماع لا يغني عن مقابلة العين واستشهد بقول قائل:[5]

العين تبدي الذي في نفس صاحبها من العداوة أو ود إذا كانا.

[1] روم الحرف الساكن بحركة خفيفة لا يعتد بها ولاتغير وزنا :أنظر لسان العرب،ج7مادة شمم، ص205.

[2] فقه اللغة،عبد الملك بن اسماعيل أبو منصور الثعالبي، تح: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث ،ط2،ص 282.

[3] الخصائص،ص73.

[4] نفسه،ص371

[5] نفسه،ص247.

ومن خلال هذا البيت استشعر ابن جني تأثير حركة العين فقال:" أفلا ترى إلى اعتباره بمشاهد الوجوه وجعلها دليلا على ما في النفوس وعلى هذا قال لي أحد مشايخنا رحمه الله أنا الأحسن أن أكلم إنسانا في الظلمة[1]".

3/ عند ابن رشيق القيرواني(ت 456ه):

خصص ابن رشيق بابا لدلالة الإشارة في كتابه " العمدة في محاسن الشعر وآدابه " وتكلم عنها في بادئ الأمر وجعلها وسيلة من وسائل الكيان تشمل لغة الجسد ومن أنواعها يذكر "التفخيم" ،والإيماء، والتعريض، والكناية، والتمثيل ،والرمز، واللمحة ،واللغز وهذا الأخير من أخفى الإشارات وأبعدها[2] " ما يدل على أن الإشارة تشمل سائر أنواع البيان كناية وتشبيه... فجعلها نوعا من أنواع ائتلاف اللفظ، وبالتالي انتصر لدلالة الإشارة الحقيقية والتي تعتمد سائر الحركات الجسدية في تعزيز المعنى وتكوينه وذلك بقول أبي نواس:

قال إبراهيم بألما لكذا غربا وشرقا

فأوضح ابن رشيق تعليقه قائلا: "أن أبا نواس لم يأت بها حشوا في كلامه ،ولكن بيانا وتثقيفا[3] ".كما استشهد بقوله صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عمرو بن العاص : " وكيف إذا بقيت في حثالة الناس قد مرحت عهودهم و أماناتهم ،واختلفوا فكانوا هكذا وشبك بين أصابع يديه، ولا أحد أفصح من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أبعد كلاما منه من الحشو والتكلف"[4] .

مشيرا إلى "أن معاوية بن سفيان لما أقام الخطباء لبيعه ولده يزيد فقام رجل من ذي الكلاع فقال: هذا أمير وأشار بيده إلى أبي سفيان ،فإن مات فهذا وأشار بيده إلى يزيد، فمن أبي فهذا وأشار إلى السيف[5]".

فلغة اليد هنا كانت بليغة في أداء المعنى وتحديد الدلالة لا يتطلب وجود الكلام أحيانا فيمكن الاستغناء عن اللفظ.

---

[1] الخصائص:ص247.

[2] العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ،ابن رشيق القيرواني،تح: محي الدين عبد الحميد ،دار الجيل ،بيروت،ط5،1401ه/1981م،ص 302.

[3] نفسه،ص309.

[4] نفسه،ص102.

[5] نفسه،ص309.

4/ عبد القاهر الجرجاني: ت 471ه

لم تحظى دلالة الإشارة عند عبد القاهر الجرجاني بعناية ، لا في كتابه أسرار البلاغة ولا دلائل الإعجاز لأنه كان منهمكا في اشتغاله بقضية النظم، إلا أنه أشار إلى هذا النوع من البيان في مواضع متفرقة ومنها قوله :" لأن البعض لا يرى المعنى أكثر مما يرى الإشارة بالرأس، والعين، وما يجده للخط والعقد[1]" وقوله فيمن أعرض عن الشعر بسبب وزنه إذ ينبه بالنظر إلى ما فيه من "حسن وتمثيل، واستعارة والإشارة وإلى صنعة تعتمد إلى معنى الخسيس فتشرفه[2]".

ومن باب مزية دلالة الإشارة يذكر:" وينبغي أن تأخذ الآن في تفصيل أمر المزية وبيان الجهات التي منها تعرض، و أنه لمرام صعب ومطلب عسير ،ولولا أنه على ذلك لما وجدت الناس بين منكر من أصله متخيل له على غير وجهه ومعتقد أنه باب لا تقوى عليه العبارة ،ولا يملك فيه إلا الإشارة"[3].

وعلى هذا النحو خطا عبد القاهر خطوات دقيقة مبينا ومعرض فيها وسائل البيان ووجوه الإعجاز في نظم الكلام، لهذا لا نجده فتح بابا أو خص كلاما عن دلالة الإشارة بل أشار إليها في بعض اللفتات الصغيرة .

المبحث الثاني:

الإشارة عند النحاة:

تأتي معاني الإشارة في اللغة من مادة شور، وهي معاني تدور حول المظهر والهيئة ومنها "عرض الشيء للعيان عند البيع خصوصا، يقال شار الدابة يشور شورا إذا عرضها لتباع[4] ".

وفي نفس السياق تكون الإشارة بالإصبع أو باليد ولذلك يقال للسبابتين المشيرتان.

ومن هذه المعاني أخذت أسماء الإشارة تسميتها لتفيد وتدل على مسمى حاضر بهيئته أو في ذهن المخاطب يقول صاحب شرح شذور الذهب في التعريف باسم الإشارة :" وهو ما دل على مسمى وإشارة إليه[5]".

---

[1] دلائل الإعجاز،عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد،تح: محمود محمد شاكر،مكتبة الخانجي مطبعة المدني،ص6.

[2] نفسه،ص24.

[3] نفسه،ص 65.

[4] ينظر،ابن منظور،لسان العرب .ص،356

[5] شرح شذور الذهب،ابن هشام الأنصاري، تح: بركات هبود،دار الفكر ،بيروت،ط2،1998،ص117.

قد زخرت كتب النحو في تقسيماتها وفروعها ووظائف كل عنصر منها في الجملة وتجلياتها في الخطابات اليومية كما فعل سيبويه الذي كان سباقا في الكشف عن الأسماء المبهمة التي تقوم مقام الإشارة ومن خلال الأمثلة الواقعية التي كان يأخذها من بيئة ذلك العصر ثم يحللها فيقول في كتابه الكتاب عن المبهمات " فأما المبني على الأسماء المبهمة فقولك :هذا عبد الله منطلقا ، وهؤلاء قومك منطلقين ،وذاك عبدا لله ذاهبا، وهذا عبد الله معروفا ... ف" هذا اسم مبتدأ يبنى عليه ما بعده " عبد الله" و لم يكن ليكون هذا كلاما حتى يبنى عليه أو يبنى على ما قبله"[1].

ويفسر قوله بالمبهمات :" والأسماء المبهمة هذا وهذان، وهاتان، وهؤلاء، وذلك، وذاك وتلك، وأولئك، وهي، وهما، وهم، وهن، وما أشبه هذه الأسماء وما ينتصب لأنه خبر للمعروف المبني على الأسماء غير المبهمة"[2].

و أما عن الدور الذي تلعبه الإشاريات (المبهمات) هو دور هادف يحيل إلى إبانة الكلام وتوضيحه فيقول في "الكتاب" ...لو قلت : ما زيد منطلقا "زيد، لم يكن حد الكلام، وكان هانا ضعيفا و لم يكن كقولك : ما زيد منطلقا هو، لأنك استغنيت عن إظهاره، وإنما ينبغي لك أن تضمر .ألا ترى أنك لو قلت :ما زيد منطلقا أبوريد لم يكن كقولك : ما زيد منطلق أبوه، لأنك استغنيت عن الإظهار"[3]

ومن الأمثلة عن هاته الأسماء "هذا" و "هذه" و"وهؤلاء" وغيرها وهي دالة على ما استقر في ذهن مستعمليها حضورا بالقوة أو ما قدر أنه معرفة مشتركة بين المتخاطبين مما يضفي على هذه العناصر سمة سياقية من خلال تعيينها للذات المشار إليها أثناء عملية التلفظ وهذا ما يؤكده تعريف أكثر تحديدا لمحمد محي الدين عبد الحميد وهو "أن أسماء الإشارة إنما وضعت لتدل على معين بواسطة إشارة حسية أو معنوية[4]" ، وقد جاء في أسرار العربية ما مفاده "أن بعض النحاة ذهبوا إلى أن أسماء الإشارة تعرف بالمبهمات"[5] .

ويفسر ابن يعيش سبب تسمية أسماء الإشارة بالمبهمات فيقول :" ويقال لهذه الأسماء مبهمات، لأنك تشير بها إلى كل ما بحضرتك وقد يكون بحضرتك أشياء تلتبس على المخاطب فلم يدري إلى أيها تشير فكانت

---

[1] الكتاب، سبويه،تح: عبد السلام محمد هارون،دار الجيل،بيروت،ط1، ج2،ص78.

[2] المصدر نفسه ،ص78.

[3] المصدر نفسه، ج1،ص62.

[4] ينظر : التحفة السنية بشرح المقدمة الاجرومية ،عبد الحميد محمد محي الدين ،دار الطلائع،القاهرة،2004،ص75.

[5] ينظر: أسرار العربية ،الأنباري أبو بركات،تح: فخر صالح قداره، دار الجيل، بيروت،ط1،1995،ص302

مبهمة ،ولذلك لزمها البيان بالصفة عند الالتباس ومعنى الإشارة الإيماء إلى حاضر بجارحة أومأ : يقوم مقام الجارحة فيتعرف بذلك ،فتعريف الإشارة أن تخصص للمخاطب شخصا يعرفه لحاسة البصر[1] ".

وعن تصنيف العناصر الإشارية التي تتطلبها العملية التخاطبية التي يوظفها المخاطب مراعيا حال المخاطب فقد يكون مفردا أو مثنى أو جمعا من الناس كما قد يكون ذكرا أو أنثى وقد يكون مكانا أو شيئا فقد صنفا النحويون إلى ثلاث :قربا وسطا وبعدى يقول ابن مالك ألفيته المعروفة[2]:

بذا المفرد مذكر أشر	بذي وذه تي تا على الأنثى اقتصر
وذاه تان للمثنى لا ترفع	وفي سواه ذين تين أ ذكر تطع
وبأولى أشر لجمع مطلقا	والمد أولى ولدا البعد أنطقا
بالكاف حرفا دون لام أو معه	واللام- إن قدمت ها- ممتنعه
وبهنا أو ههنا أشر إلى	دان المكان وبه الكاف صلا
في البعد أو بثم فه أو ههنا	أو بهنالك انطقت أو هنا

يقول ابن هشام :" ثم المشار إليه إما أن يكون قريبا ،أو بعيدا ، فإن كان قريبا جيء باسم الإشارة مجردا من الكاف وجوبا، ومقرونا ب "ها" التنبيه جوازا، تقول :" جاءني هذا وجاءني ذا "، ويعلم أن "ها" للتنبيه تلحق اسم الإشارة بما ذكرته بعد أن أنها إذا لحقته لم تلحقه لام البعد"[3].

مثال :قرأت هذا الكتاب

فأحيل المخاطب بدءا على ذات ما بواسطة لفظ الإشارة "هذا" ثم أضيف المعلومة التي يحملها الاسم "الكتاب" بعد أن أكون قد استشعرت من المخاطب أنه في حاجة لها لكي يتأتى له التعرف على الذات المقصود بالإحالة إليها .

---

[1] شرح المفصل،ابن يعيش، موفق الدين،إدارة الطباعة المنيرية، مصر،ج3ص84.

[2] شرح المكودي على الألفية، في علمي الصرف والنحو، أبو زيد عبد الرحمن بن علي بن صالح المكودي، ضبط :ابراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية،بيروت، ط1،1996،ص 32.

[3] شرح قطر الندى، وبل الصدى ،ابن هشام الأنصاري ، تح: محمد محي الدين عبد الحميد ،دار رحاب للطباعة والنشر والتوزيع، ص 111.

ولعل ما يلفت النظر إليه في وظيفة الضمائر بأنواعها والتي تحل محل الإشارة للدلالة على الأشياء .فالمتمعن فيها يلاحظ دورها في رفع اللبس وتوضيح ما تشير إليه، وذلك لتلاءم خصائصها مع أغراض المتكلمين ومقاصدهم التي يفهمونها السامعون ويتقبلونها بيسر .

المبحث الثالث:

الإشارة عند علماء أصول الفقه:

يعد علم أصول الفقه[1] من أعظم العلوم الشرعية التي أولاها الكثير من العلماء العناية والاهتمام الفائقين من اجل الوصول إلى مقاصد الشارع الحكيم، وله أهمية بالغة لاستنباط الأحكام الشرعية من مصادرها المعتبرة في الشرع، فعن طريقه يتمكن الفقيه من الوصول للحكم بسهولة ويسر فهو علم لتفسير النصوص والترجيح بين الأقوال ولعلم أصول الفقه قيمة بارزة في الذهن المعرفي الآني فعن الجابري يقول :" إلى أن الحضارة العربية الإسلامية برمتها يمكن أن تفهم على أساس أنها حضارة فقه وذلك بنفس المعنى الذي ينطبق على الحضارة اليونانية حين نقول عنها أنها حضارة فلسفة ،وعلى الحضارة الأوربية المعاصرة حين نصفها بأنها حضارة علم وتقنية[2]" .ويرجع الفضل إلى أول من قام بتدوين هذا العلم والتأليف فيه على شكل مرتب ومنظم هو الإمام الشافعي محمد بن إدريس في كتابه الرسالة وهذا ما أكده الرازي قائلا:" اتفق الناس على أن أول من صنف لهذا العلم –أي أصول الفقه–الشافعي وهو الذي رتب أبوابه ،وميز بعض من أقسامه وشرح مراتبها في القوة والضعف...واعلم نسبة الشافعي إلى علم الأصول كنسبة ارسطاليس إلى علم المنطق ، وكنسبة الخليل ابن أحمد إلى علم العروض[3]" .

ودلالة الإشارة هي احد مباحث أصول الفقه أملا في تنمية الملكة الفقهية لدى القارئ لكنهم جعلوها ثمرة اللفظ وإيماءاته وهذا ما سنحاول الكشف عنه عند بعض من علماء أصول الفقه على سبيل التمثيل لا الحصر.

---

[1] أصول الفقه:الأصل فهو المحتاج إليه،اما الفقه هو أصل اللغة عبارة عن فهم غرض المتكلم من كلامه وعند الجمع بين المصطلحين يصبح أصول الفقه عبارة عن مجموع طرق الفقه على سبيل الإجمال وكيفية الاستدلال بها وكيفية حال المستدل بها . المحصول من علم الأصول ،أبو عبدالله محمد بن عمر ابن الحسين التيمي الرازي، تح:طه جابر فيض العلواني، مؤسسة الرسالة ،ط3،1418ه/1997م،ص ص1-3.

[2] ينظر: تكوين العقل العربي،محمد الجابري،دار الطليعة ،بيروت ،لبنان ،1984،ص100.

[3] الكافي الوافي في أصول الفقه الإسلامي،مصطفى سعيد الخن ،مؤسسة الرسالة،ص 23-24.

العناصر الدلالية في الدرس الأصولي :

اهتم علماء أصول الفقه في المعنى في اعتبارات متعددة والمتتبع للأنساق اللسانية التي طرحها علماء أصول الفقه يستنتج أنهم يفرقون دائما بين نوعين أساسيين من المعنى هما المنطوق والمفهوم والمراد بالمنطوق:" ما دل عليه اللفظ في محل النطق "[1]أي أنه ن

مدرك من خلال المعنى الوضعي المباشر دون تلميحات .

في حين المفهوم يراد به :" ما فهم من اللفظ في غير محل النطق[2]".أي هو الضلال الهامشية والإضافية المدركة من الملحوظ. ويندرج تحت كل ما هو منطوق و مفهوم عناصر يكتسب بعضها قيمته من الوضع والبعض الآخر من الاستعمال فنجد من المنطوق ما هو صريح وغير صريح ومن المفهوم ما هو مفهوم موافقة و ما هو مفهوم مخالفة ويمكننا توضيح ذلك بالمشجر الآتي:

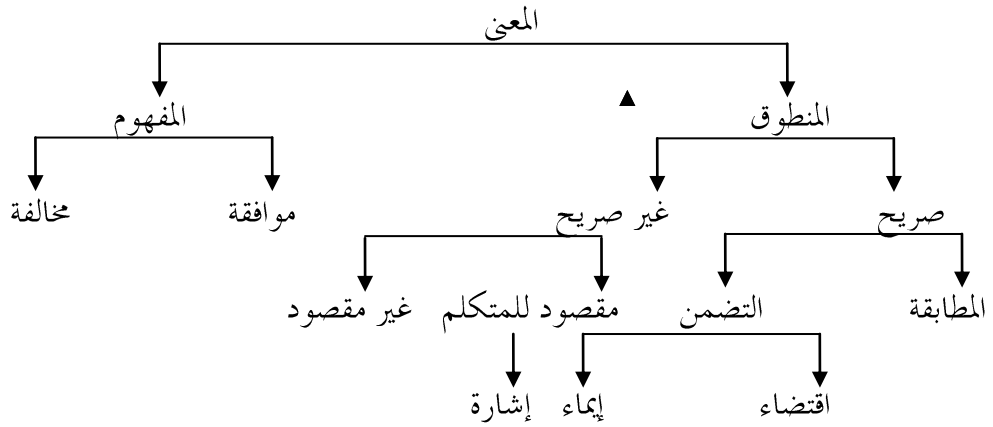

[1]الاتقان في علوم القرآن،جلال الدين السيوطي،مطبعة البابي حلبي،ط3،1402ه، بيروت ،ج2،ص31-31.

[2]الاحكام في أصول الأحكام ،علي بن محمد التغلبي الآمدي سيف الدين أبو الحسن تح:عبد الرزاق عفيفي،المكتب الإسلامي،1402ه،ط2،م3،ص66.

مفهوم دلالة الإشارة

عند السرخسي(ت 483ه):

دلالة الإشارة هي:" ما لم يكن السياق لأجله لكنه يعلم بالتأمل في معنى اللفظ من غير زيادة فيه ولا نقصان وبه تتم البلاغة ويظهر الإعجاز[1]".

ويعطي مثالا عن دلالة الإشارة من المحسوسات إذ يقول :" أن ينظر الإنسان إلى شخص هو مقبل عليه ويدرك آخرين بلحظات بصره يمنة ويسرة و إن كان قصده رؤية المقبل إليه فقط ...فكذلك هنا الحكم الثابت بالإشارة والعبارة واحد منهما يكون ثابتا بالنص وإن كان التعارض قد يظهر بين الحكمين تفاوت فيما تبينه الإشارة عنده قوله تعالى " للفقراء المهاجرين" فالثابت بالعبارة في هذه من الآية من الفن لهم أن سياق الآية لذلك ،كما قال تعالى في أول الآية "**مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ**" والثابت بالإشارة أن الذين هاجروا من مكة قد زالت أملاكهم عما خلفوا بمكة الاستيلاء الكفار عليها ،فإن الله تعالى سماهم فقراء وهذا حكم ثابت بصيغة الكلام من غيرها زيادة ولا نقصان فعرفنا أنه ثابت بإشارة النص ولكن لما لا يتبين ذلك إلا بتأمل واختلف العلماء فيه لاختلافهم في التأمل لهذا قيل: الإشارة من العبارة بمنزلة الكناية والتعريض من التصريح أو بمنزلة المشكر من الواضح فمنه ما يكون للعلم قطعا بمنزلة الثابت بالعبارة ومنه ما لا يكون موجب للعلم وذلك عند اشتراك معنى الحقيقة والمجاز في الاحتمال المراد بالكلام"[2].

فدلالة الإشارة عند السرخسي متولدة عن اللفظ ولا علاقة لها بدلالة الحركة، وإن كان الأصل في اصطلاح لفظ الإشارة هو الحركة.

عند ابي حامد الغزالي:(505ه)

هي "ما يتبع من غير تجريد قصد إليه، فكما أن المتكلم قد يفهم بإشارته وحركته أثناء كلامه ما لا يدل عليه نفس اللفظ ،فيسمى إشارة فكذلك قد يتبع مال يقصد به ويتنبه له."[3]

أصول السرخسي ،أحمد بن أبي سهل السرخسي ،تح: أبو الوفا الأفغاني ،لجنة إحياء المعارف

[1] العثمانية،ط1،1414ه/1993م،م1،ص132.

[2] نفسه،ص132.

[3] المستصفى من علم الاصول، أبي حامد محمد الغزالي، المكتبة العصرية ،صيدا، بيروت،لبنان،ج2 ،ص 152

عند الرازي :(ت 606ه)

وجه تسمية هذه الدلالة دلالة الإشارة عنده" أن الإنسان الواحد لما خلق بحيث لا يمكنه أن يستقل وحده بإصلاح جميع ما يحتاج إليه فلا بد من جمع عظيم ليعين بعضهم بعضا حتى يتم لكل واحد منهم ما يحتاج إليه فاحتاج كل واحد منهم إلى أن يعرف صاحبه ما في نفسه من الحاجات. وذلك التعريف لا بد فيه من طريق وكان يمكنهم أن يضعوا غير الكلام معرفا لما في الضمير كالحركات المخصوصة بالأعضاء معرفات لأصناف الماهيات ،إلا أنهم وجدوا جعل الأصوات المتقطعة طريق إلى ذلك أولى من غيرها لوجوه[1]".

ويعزز ذلك بقوله أن الكلمات التي يمكننا التعبير عنها كثيرة ولا تحتاج إلى إشارات أو حركات فيقول:" إن إدخال الصوت في الوجود أسهل من غيره لأن الصوت إنما يتولد في كيفية مخصوصة في إخراج النفس وذلك الأمر ضروري فصرف ذلك الأمر الضروري غلى وجه ينتفع به انتفاعا كليا أوى من تكلف طريق أخرى قد يشق على الإنسان الإتيان به، وثانيها أن الصوت كما يدخل في الوجود ينقضي فيكون موجودا حال الحاجة ومعدوما حال الاستغناء عنه، و أما سائر الأمور فإنها قد تبقى وربما يقف عليها من لا يراد وقوفه عليها[2]" .

ويقول عن عجز الإشارة في إفادة الغرض قائلا:" أما الإشارة فإنها قاصرة على إفادة الغرض ففن الشيء ربما كان بحيث لا يمكن الإشارة إليه حسا كذات الله تعالى وصفاته وأما المعدومات فتعذر الإشارة إليها. وأما الأشياء ذوات الجهات فكذلك أيضا إيصالات الإشارة إذا توجهت إلى محل فيه لون وطعم وحركة لم يكن انصرافها إلى بعضها أولى من بعض"[3]

ويؤكد الرازي على كثرة المعاني في التعبير قائلا:" أن المعاني التي تحتاج إلى التعبير عنها كثيرة جدا فلو وضعنا لكل واحد منها خاصة لكثرت."

"فالعلامات بحيث يعسر ضبطها أو وقوع الاشتراك في أكثر من المدلولات وذلك مما يخل بالتفهيم فلهذه الأسباب وغيرها اتفقوا على اتخاذ الأصوات المتقطعة معرفات للمعاني لا غير"[4]

[1] المحصول من علم الأصول،الرازي،ص30.

[2] نفسه،ص30.

[3] نفسه،ص30.

[4] نفسه،ص31.

عند الآمدي (ت 631ه):

يعرف الآمدي دلالة الإشارة قائلا:" هي دلالة التزاميه لمعنى اللفظ لم يكن السياق لأجلها لكنه يعلم بالتأمل في معنى اللفظ إذ يحتاج الوقوف عليها إلى تأمل فهي لازم للمعنى الذي سيق الكلام لأجله والحكم يؤخذ من إشارة اللفظ لا من اللفظ نفسه"[1] .

وعرفها الخبازي بقوله دلالة الإشارة هي: " ما ثبت بنظمه إلا أنه ماسيق الكلام له ".

كما عرفها البزدوي قائلا:" الإشارة العمل بما ثبت بنظمه لغة لكنه غير مقصود ولا سيق له النص ،وليس بظاهرة من كل وجه[2]".

تعليل تسميتها بالإشارة:

علل بعض من علماء أصول الفقه تسمي الإشارة بالإشارة وسنقتصر في بحثنا هذا على تعليل الغزالي يعطي السبب بتسميتها بدلالة الإشارة قائلا:" فكما أن المتكلم قد يفهم من إشاراته وحركته في أثناء كلامه ما لا يدل على عليه نفس اللفظ ويسمى إشارة فكذلك قد يتبع اللفظ ما لم يقصد به ويبنى عليه [3]".

ويعرفها مصطفى شلبي قائلا:"هي اللفظ الدال على معنى لم يسق لإفادته لا أصلا ولا تبعا ولكنه لازم للمعنى الذي سيق لإفادته لالاولا يتوقف عليه صدق الكلام ولا صحته شرعا".[4]

ومن خلال هذه المفاهيم التي قدمها علماؤنا في التراث الإسلامي عن الإشارة يتبين لنا لها دلالة التزاميه تستقى من اللفظ غير الصريح في حين يرى بعضهم أنها تفهم من اللفظ ولا يدل اللفظ عليها ومنه فإن الإشارة عندهم مقصودة للمتكلم ولكن ليس قصدا أصليا وإنما قصدا تبعيا فكان الخلاف مجرد اصطلاح وهذا شأن يحتاج إلى دراسة مستقلة أخرى.

---

[1] الاحكام في أصول الاحكام :علي بن محمد التغلبي الآمدي سيف الدين أبو الحسن، تح: عبد الرزاق عفيفي،المكتب الإسلامي،1402ه،ط2،م3،ص69.

[2] المغني في أصول الفقه،عمر بن محمد عمر الخبازي ،تح: محمد مظهر بقا،مطبعة جامعةأم القرى،مكة،ط1،1403ه،ص149.

[3] أصول البزدوي،علي الحنفي(ت 482ه)،دار الكتب العلمية،بيروت–لبنان،ط1،1418ه،ص109.

[4] أصول الفقه الإسلامي ،محمد مصطفى شلبي ، الدار الجامعة ،ط 4، بيروت –لبنان ، 1983 ص491.

المبحث الرابع:

في الدراسات اللسانية والسيميائية:

إن أول محاولة جادة في نطاق اللسانيات كانت تلك التي طرحها للوجود كل من دي سوسير وساندرس تشارلز بيرس :"فاللسانيات عرفت مجالا رحبا منذ أن أتى عالم اللغة فرديناندي سوسير بفكرته السيميولوجية، وضم اللسانيات إلى السيميائيات ضم فرع إلى أصل ،معتبرا مجال الأولى هو دراسة العلاقات اللسانية المتصلة باللغة لا غير،سواء أكانت هذه العلامة مكتوبة أم منطوقة بينما تنفتح السيميائيات على كل العلامات التواصلية اللغوية وغير اللغوية .

ومن هنا يبرز اتجاه في دراسة (العلامة) ينطلق من(سيميائيات الإبلاغ والتواصل) ليقابل إلى اتجاها سيميائيا آخر هو (سيميائيات الإيحاء والدلالة[1]) .

بينما "ركز سوسير على الوظيفة الاجتماعية للعلامة بينما ركز بيرس على الوظيفة المنطقية" [2]

ويرجع الدكتور أحمد عمر مختار فكرة الإشارة إلى سوسير فيقول :" عرف سوسير الإشارة اللغوية على أنها وحدة لغوية متكونة من دال ومدلول،الدال هو الإدراك النفساني للكلمة الصوتية والمدلول هو الفكرة أو مجموعة الأفكار التي تقترن بالدال"[3] فالإشارة عند دي سوسير كيان نفسي ذو وجهين متكون من دال ومدلول ومصطلح الدال(Signifiant)معبرا عن الصورة السمعية والتي ترتبط ارتباطا وثيقا بالصورة الذهنية وهذه الأخيرة أطلق عليها مصطلح مدلول (Signifie) ويمكننا التمثيل لهذه العلاقة بالشكل التالي :

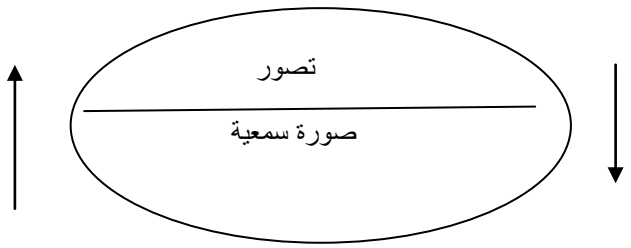

كما يعتبر دي سوسير أول من سلك طريق منهج " علم الإشارات" إذ يعرفه قائلا: يمكننا أن نتصور علما موضوعه دراسة حياة الإشارات في المجتمع ،مثل هذا العلم يكون جزءا من علم النفس الاجتماعي ...وجزء من علم النفس العام ،سأطلق عليه علم الإشارةSemiology ...و يوضح علم الإشارات ماهية

[1] دروس في السيميولوجيا،أبوبكر مرزوق،جامعة الاغواط، الجزائر،2009/2008،ص01.

[2] علم الإشارة السيميولوجيا ،بيار جيرو،تر:منذر عياشي،دار طلاس ،دمشق،ط1،1988،ص25.

[3] علم الدلالة،أحمد عمر مختار ،عالم الكتب،القاهرة،ط7،2009،ص54.

مقومات الإشارات و ماهية القواعد التي تتحكم فيها.ولما كان هذا العلم لم يظهر إلى الوجود إلى حد الآن لم يكن التكهن بطبيعته وماهيته ولكن له حق الظهور إلى الوجود[1]".

و تتضح العلاقة أكثر في مفهوم الإشارة عندما يعلق (اف بالمر) بقوله:" أشهر صيغتين لهذا الرأي هما نظرية الإشارة لسوسير والمثلث الإشاراتي أو العلاماتي لاوجدن وريتشاردز وطبقا إلى سوسير أنظر (1-2)أنظر كما رأينا تتألف الإشارة اللغوية من الدال والمدلول وهما تعبيرا أدق الصورة الصوتية والفكرة وكلاهما مرتبط بعقد نفسي فالأصوات التي نطلقها وأشياء العالم التي تتحدث عنها تنعكس بشكل ما بالمفاهيم العقلية[2] ".

أما أوجدن وريتشاردز فإنهما يريان العلاقة مثلثا بحيث الرمز " هو العنصر اللغوي الكلمة أو الجملة، في حين يريان أن الفكرة أو الإشارة هي المفهوم،وليس هناك ارتباط مباشر بين الرمز وما يشير إليه، بين اللغة والعالم أو يمر الربط عبر الفكرة إذ الإشارة عبر مفاهيم عقولنا[3]" ويمكننا تمثيل ذلك بالشكل التالي:

الفكرة. الإشارة .المرجع Thought – Sing - Reference

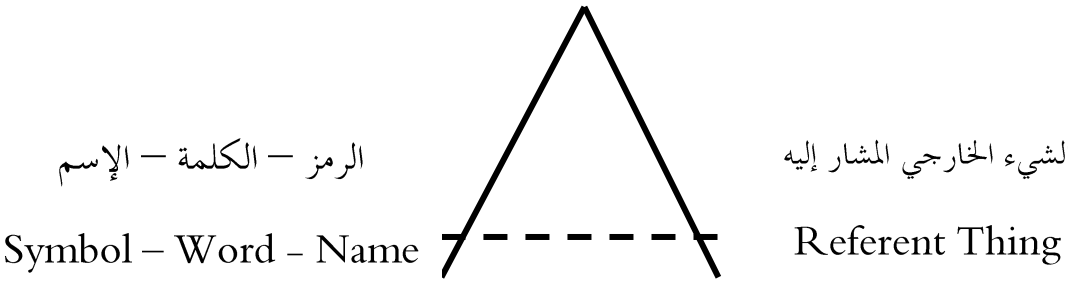

تصور بيرس للإشارة :

توسم مقاربات ونظرية بيرس بالشمولية على اعتبار أنه ادمج ما أقصاه سوسير من حقل اللسانيات فإذا كانت العلامة عند سوسير فإنها في تصور بيرس تفصح عن علاقة ثلاثية تتركب من المصورة وتقابل الدال عند سوسير والمفسرة تقابل المدلول عند سوسير والموضوع ليس له مقابل عند سوسير إذن فالعلامة عند بيرس وحدة ثلاثية المبنى.

[1] علم اللغة العام،فرديناند دي سوسير،تر: يوئيل يوسف عزيز،دار آفاق العربية،ص34.

[2] علم الدلالة ،أف،بالمر،تر: مجيد عبد الحليم ناشطة،الجامعة المستنصرية،1981،ص31.

[3] علم الدلالة،أحمد عمر مختار،ص55.

وقد تناول بيرس مفهوم الإشارات اللغوية بالتعريف حيث يقول : "العلامة أو المصور « represntament »هي شيء ما ينوب لشخص ما عن شيء ما بصفة ما ، أي أنها تخلق في عقل ذلك الشخص علامة معادلة ،أو ربما علامة أكثر تطورا .وهذه العلامة التي تخلق أسميها مفسرة "interpretant" للعلامة الأولى .إن العلامة تنوب عن شيء ما ،إن العلامة تنوب عن شيء ما ،وهذا موضوعها "obget" وهي لاتنوب عن هذا الموضوع من كل الوجهات ،بل بالرجوع إلى نوع الفكرة التي سميتها سابقا ركيزة " ground " المصورة [1]" ويمكننا التمثيل لذلك بهذا الشكل :

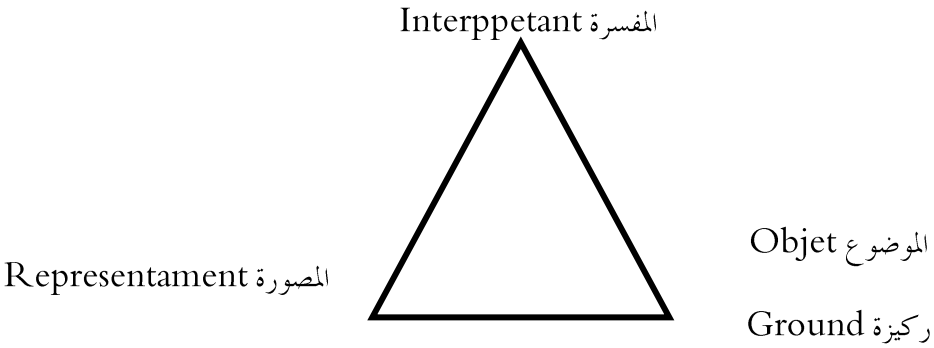

أنواع العلامة: تندرج تحت علاقة العلامة بالموضوع ثلاث أنواع هي :

1-3/ **الأيقون Icon**: "هي علامة تدل على أن شيئا تجمعه مع شيئا آخر علاقة مطابقة أو مماثلة وهي علامة تعتمد على الحواس فتكون المخاطبة :

بصرية: صورة الشخص أو شيء خاص بالشخص يدل على نفسه.

سمعية: صوت مطرب دال عليه.

شميه: رائحة الأم عند الرضيع.

ذوقية: مذاق الشيء يدل على أصله (ثوم أو بصل).

حسية:لمسية عند من فقد البصر"[2] .

[1] أنظمة العلامات ،سيزا قاسم،ص 138.

[2] محاضرات في السيميولوجيا،أبوبكر مرزوق،ص.7

2-3/**المؤشرIndex**: "علامة تكون فيها العلاقة بين المصورة والموضوع علاقة سببية منطقية[1]" مثل ارتباط السحب بالمطر.

3-3/ **الرمزsymbool**: "علامة تشير إلى الموضوع الذي تعبر عنه عبر عرف غالبا ما يقترن بالأفكار العامة التي تدفع إلى ربط الرمز بموضوعه[2]" مثل الحمامة البيضاء رمز للسلام والميزان رمز العدالة.

أنواع الإشارة:

والجدير بالذكر الحديث عن أنواع الإشارة التي اصطلح عليها الدرس السانى الحديث وهي :

أ- الإشارات الطبيعية: الإشارات الطبيعية (Sign Natural) تكون العلاقة بينها وبين الأشياء الدالة عليها خاضعة لقوانين الطبيعة [3]".

ب- الإشارات المصطنعة:" تكون العلاقة بينها وبين الأشياء الدالة عليها خاضعة للإرادة [4]"

[1] درقاوي مختار،من العلامة إلى المعنى، أطروحة دكتوراه،جامعة وهران،2010-2011،ص40.

[2] أنظمة المعلومات،سيزا قاسم،ص142.

[3] المعجم الفلسفي،مراد وهبة،مجمع اللغة العربية،دار قباء الحديثة،القاهرة،2007،ص 66.

[4] نفسه والصفحة نفسها.

خلاصة الفصل:

ونستخلص مما سطره علماؤنا عن الإشارة ما يلي:

أولا: أن الجميع اتفق على أ ن الأصل في البيان هو اللفظ و لم يختلفوا حول الإشارة وعدوها ضربا من البيان أيضا.

ثانيا: أن أول من لفت الأنظار لهذه الدلالة، وكشف اللثام عنها الجاحظ،لكن لم يسر خلفه الباقون بل تاهت الدلالة عندهم وضوحا وغموضا ،وإن كانت لهم إضافات لا تنكر.

ثالثا:للإشارة دلائل واضحة وناطقة في إفصاح البيان، كما أن لها دلائل في بيان العرب قديما شعرا أو نثرا.

رابعا:اختلف البلاغيين في وصف الإشارة بالبلاغة واقتصروا بالبلاغة على اللفظ .

خامسا:دلالة الإشارة ثابتة في فطرة الإنسان ومنه لا يجوز وصف البليغ إذا أشار بالعجز أو النقص.

سادسا:إذا وافقت الإشارة اللفظ يسهل المعنى على المتلقي ،أما إذا كان اللفظ والإشارة غير متوافقان أدى الأمر إلى التعقيد المذموم .

سابعا:إن حقل البيان للإفصاح على المعاني والمقاصد في حاجة ماسة إلى الكشف عن وسائل البيان الأخرى غير اللفظ.

ثامنا:للإشارة مقامات لا يستطيع اللفظ بقدر علو باعه القيام بها، كالإيماءة للبعيد وبيان الخائف.

تاسعا:أن دلالة الاشارة عند علماء اصول الفقه على اللفظ .

عاشرا:أن لكل حركة إشارية دلالة ينبغي تمييزها عن غيرها وتحديد دورها في تكوين المعنى.

تمهيد:

للحديث النبوي مكانة خاصة في نفوس المسلمين إذ يحظى باهتمام العلماء والدارسين الذين يتصدرون للدعوة علهم يجدون فيها حكما أو تعليلا لأمر أو تفسير المشكلة ،وهو الحديث كذلك يحظى باهتمام المسلمين كافة لأنه أثر النبي صلى الله علية وسلم وكلام صاحب الرسالة، فهم يتعلقون به تعلق محبة ويهيمون به حب قداسة لا حب فهم ودراسة ومن الناس من يهتم بالحديث النبوي لمأرب يريد أن يناله وغاية يسعى إليها إذ يريد أن يقف على ثغره أو يدرك ثلمة يوجهها في صدر الإسلام ويطعن بها في نحره.

وفي بواكير الدعوة إلى استخدام النبي صلى الله عليه وسلم لغة الإشارة لتناسب اللفظ وتفصح عنه وتؤكده والتي لها دلالتها وخصوصيتها وكان الصحابة رضي الله عنهم المهاجرون منهم والأنصار أكثر من حاورهم النبي صلى الله عليه وسلم وكان للحوار معهم طابعه الخاص فقد تدرج من الليونة والرفق إلى الشدة والحزم حسب ما كان يقتضيه المقام وأيا كانت الظروف والأحوال فكانوا ينقلون عنه كل ما بادر منه من لفظ أو حركة.

وسنتطرق في هذا الفصل إلى الكشف عن أنواع وأغراض الإشارة في الحديث النبوي باعتباره المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي والذي يحمل مضمونه المعاني الإنسانية العظيمة في نسق أدائي يستولي على الحس ويدخل القلب بلا استئذان.

المبحث الأول:

فن استعمال الإشارة في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم :

إذا كان الحكماء والبلغاء يملكون أرقى وأتقن وسائل التبليغ ، فما بلغ أحد كتبليغ الرسول صلى الله عليه وسلم، فكان خير معلم عرفت البشرية ،بامتلاكه أصفى وأحلى أساليب الاتصال اللفظي الصحيح وهذا ما أكده علماء السيرة النبوية ونستشهد بقول ابن القيم في حديثه عن فصاحته صلى الله عليه وسلم :" كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أفصح خلق الله وأعذبهم كلاما و أسرعهم أداء و أحلاهم منطقا حتى إن كلامه ليأخذ بمجامع القلوب ويسبي الأرواح ويشهد له بذلك أعداؤه[1]".

و لم يقتصر الرسول صلى الله عليه وسلم في تبليغه الدعوة الإسلامية على الكلام المنطوق رغم فصاحته وجزالة لفظه إلا أنه استخدم وسائل اتصال غير لفظية تشمل الحركات والإيماءات والإشارات والتي تدخل ضمن ما يسمى بلغة الجسد ومعنى لغة الجسد هي" تلك الحركات والإيماءات الصادرة عن أعضاء الجسم لإرسال رسالة انفعالية بقصد التأثير في المتلقي[2] ".

للإشارة في بيان المصطفى صلى الله عليه وسلم مكانة رفيعة بحيث لا تقل عن مكانة اللفظ والتي وظفها في سائر خطبه ومواعظه، تعبيرا عن مشاعره وعن معاني الدين، وكان الصحابة رضوان الله عليهم، يدركون ما يرمي إليه الرسول صلى الله عليه وسلم من خلال إشاراته وإيماءاته أهدافها ودلالتها العظيمة .وقد حرص الرواة على نقل هذا البيان كاملا غير ناقصا لما يحتويه من لفظ وإشارة وخط وعقد وحال، عاقدين العزم أنها ليست حشوا أو كما مهملا ،بل دورا حيويا في بناء المعنى، عسى أن يكون من وراء قصدها حكما أو وصية أو نحو ذلك من أمور وتعاليم ديننا الحنيف لكي لا تغيب عن الناس أمورا يتحملون وزرها فتسمعهم يقولون قال الرسول صلى الله عليه وسلم بيده أو بأصبعه كذا، فأطلقوا عليها لفظ القول وهذا دليل قاطع وبرهان ساطع على مترلة الإشارة في حمل المراد إلى المتلقي.

كما قد اهتم كتاب السيرة النبوية كما قلنا على تناول ودراسة هذه السلوكات غير اللفظية بغية التعرف على الدلالات المختلفة لتلك السلوكات غير اللفظية فآخذ عللا سبيل المثال العالم الإمام البخاري الذي قد صنف عدة أبواب في كتابه الصحيح عن هذا الموضوع .ففي كتاب العلم أورد مجموعة من الأحاديث تحت

---

[1] زاد المعاد في هدي خير العباد،ابن القيم الجوزية محمد بن أبي بكر، مؤسسة الرسالة،ط3،بيروت،2002،ج1،ص175.

[2] ينظر:لغة الجسم،مدحت أبو النصر،ص67.

باب :" من أجاب الفتيا بإشارة اليد والرأس"، في كتاب الجنائز أوردا حديثا تحت باب :" البكاء عند المريض" وغيرها من الشواهد[1]".

ومن خلال دراسة إسلامية بحتة قام بها الدكتور السر احمد سليمان عن الاتصال الغير اللفظي الذي استخدمه النبي صلى الله عليه وسلم فيقول: " نسبة لأن شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم وسيرة حياته مثلت التطبيق الحي لتعاليم الإسلام فنجد أن أبا عيسى الترمذي قد جمع أنماط السلوكات غير اللفظية في كتابه عن شمائل المحمدية تحت العناوين التالية: باب ما جاء في تكأة الرسول صلى الله عليه وسلم، وباب ما جاء في بكاء الرسول صلى الله عليه وسلم وعلى نفس المنوال الجمعي سار ابن حيان الأصبهاني في كتابه عن أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم و آدابه حيث أورد مجموعة من الأحاديث عن صفة ضحكه وتبسمه وسروره وغضبه ومزاجه وصفة بكائه وحزنه صلى الله عليه وسلم..[2]."

ويقول مصطفى الصادق الرافعي في وصف النبي صلى الله عليه وسلم:" كان لا يقام لغضبه إذا تعرض للحق بشيء حتى ينتصر له ولا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها إذا أشار أشار بكفه كلها، وإذا تعجب قلبها وإذا تحدث اتصل بها فضرب بإبهامه اليمنى راحلة اليسرى وإذا غضب أعرض وأشاح، و إذا فرح غض طرفه جل *** التبسم."[3]

أنواع الإشارات المستخدمة في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم:

1- الإشارة باليد:

تعتبر الإشارة باليد من أغنى الإشارات دلالة وترسيخا للمعلومة في الذهن، وهذا النوع الإشارة قد استخدم كثيرا في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم في مواقف تعليمية مختلفة وهذا ما سنوضحه من خلال الشواهد التالية:

بيان أشراط الساعة وما يسبقها من أحداث وفتن:

---

[1] ينظر: صحيح البخاري.

السر أحمد سليمان،20مارس 2006،الوظائف التعليمية والفاعلية التعليمية للاتصال غير اللفظي في الحديث النبوي ، المجلة

[2] التربوية، مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت،العدد68،ص19.

[3] اعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي، دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان،ط2،2003،ص201.

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" يقبض العلم ويظهر الجهل والفتن ويكثر الهرج". قيل يا رسول الله وما الهرج؟ فقال بيده :" فحرفها كأنه يريد القتل[1]".

ويعلق ابن حجر على هذا الحديث فيقول :قوله:" كأنه يريد القتل" كأن ذلك فهم من تحريف اليد وحركتها كالضارب. وإن حركة اليد أغنت عن الإجابة باللفظ، فهي تشير لفعل القتل، وهو أشد حالات الفتنة فجاءت الحركة إجابة عن سؤال دون ذكر اللفظ المقصود وحملت في الوقت ذاته إدانة خفية هادفة إلى التحذير من الفتنة التي قد تصل الناس إلى القتل"[2].

ففي هذا الحديث الشريف نجد أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يقدم للسائل عن معنى الهرج إجابة شفوية، بل اكتفى بحركة من يده الشريفة بما يعني القتل، وفيها ما يغني ويفيد والغرض الذي أفادته هذه الحركة هو التحذير من القتل.

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال : اشتكى سعد بن عبادة شكوى له، فأتاه النبي صلى الله عليه وسلم يعوده مع عبد الرحمان بن عوف وسعد بن أبي وقاص وعبد الله بم مسعود رضي الله عنهم، فلما دخل عليه، فوجده في غاشية أهله فقال: "قد قضى " فقالوا: لا يا رسول الله، فبكى النبي صلى الله عليه وسلم بكوا، فقال :" ألا تسمعون إن الله لا يعذب بدمع العين، ولا بحزن القلب، ولكن يعذب بهذا – **وأشار إلى لسانه أو يرحم** – و إن الميت يعذب ببكاء أهله عليه[3]".

ويعلق ابن حزم في إشارة في إشارة : –وأشار إلى لسانه أو يرحم –" فصح أن البكاء الذي يعذب به الإنسان ما كان منه باللسان إذ يندبونه برياسته التي جار فيها أو شجاعته التي صرفها في غير طاعة الله، و وجوده الذي لم يضعه في الحق، فأهله يبكون عليه لهذه المفاخرة وهو يعذب بذلك[4]".

إن أول ما يلفت الانتباه هو البداية ب " ألا تسمعون"؟ وهذا تمهيد لما سيقوله صلى الله عليه وسلم لأهميته حتى لا يتعقد أحد أن في البكاء معصية.

وأفادت الإشارة في الحديث الشريف أن اللسان قد يرفع صاحبه إلى عليين، وإما قد يهوى به إلى أسفل السافلين، والغرض الذي أفادته دلالة الإشارة هنا التهويل والترهيب من عواقب اللسان.

---

[1] صحيح االبخاري، محمد اسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، تح: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط1، 1402ه، م1، كتاب العلم ،باب من أجاب الفتيا بإشارة اليد والرأس،ص ص30-رقم الحديث 85

[2] شرح صحيح البخاري، فتح الباري احمد بن علي بن حجر العسقلاني، ج1،ص240-241

[3] صحيح البخاري،م1،-كتاب الجن-،باب البكاء عند المريض،ص317،ح1304.

[4] شرح صحيح البخاري،فتح الباري، ج3،ص199.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر يوم الجمعة فقال:" فيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو قائم يصلي ،يسأل الله تعالى شيئا إلا أعطاه إياه" –**وأشار بيده يقللها**–[1]".

وفي تعليق عمدة القاري للإشارة التي جاءت في الحديث يقول:" وأشار بيده"، أي وأشار رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده وكذا هو في رواية أبي مصعب عن مالك وقوله: "ويقللها" جملة وقعت حالا ،وهو من التقليل خلاف التكثير، يريد أن الساعة لحظة خفيفة، وفي رواية لمسلم :" يزهدها" وهو بمعناه وفي لفظ " وهي ساعة خفيفة[2]" .

ولا شك أن الإختصاص بالإشارة هنا لا يراد منه ساعة دون أخرى ولكن يراد به التنبيه على قلة وقت الإجابة كما فسر العلماء أن هذه الإشارة تعني أنها ساعة خفيفة وقد اختلف العلماء في تحديد هذه الساعة على أكثر من أربعين قولا أصحها قولان : الأول أنها من جلوس الإمام غلى انقضاء الصلاة.

والثاني: أنها بعد العصر وهذا أرجح القولين[3]".

وكل ذلك تفسير للإشارة بالقلة، وغرضه الترغيب فيها حتى يجتهد الداعي على الإكثار من الصلاة والدعاء في وقت، لعله يدركها.

الدلالة على الوحدة و الإئتلاف:

عن أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن المؤمن للمؤمن كالبيان ايشد بعضه بعضا" – **وشبك أصابعه**–.

إن هذه الحركة منه أبلغ في إيصال المعنى إلى المقصود إلى أذهان الحاضرين كناية عن القوة والتماسك غرضها الترغيب في الترابط والتلاحم بين البشر[4].

---

[1] البخاري، ج1،،كتاب الجمعة،،باب الساعة التي في يوم الجمعة،ص223، ح935ومسلم 582.

عمدة القارئ شرح صحيح البخاري،بدر الدين أبي محمد محمود بن أبي احمد العيني، دار الكتب

[2] العلمية،ط1،بيروت،لبنان،2001، ج6،ص350.

[3] محمد صالح المنجد،الإسلام سؤال وجواب،س201556،كيف يتحرى المسلم ساعة الإجابة يوم الجمعة ؟.

[4] البخاري،م1،كتاب الصلاة،88باب تشبيك الأصابع في المسجد وغيره ،ص122، ح481مسلم،2585.

الشاهد (5):

عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه ذكر رمضان بيديه فقال: " الشهر هكذا وهكذا و هكذا –**ثم عقد إبهامه في الثالثة**– فصوموا لرؤيته و أفطروا لرؤيته، فإن غم عليكم فاقدروا له ثلاثين"[1].

يقول ابن حجر في تعليقه عن هذا قائلا:" يعني مرة تسعة وعشرين ومرة ثلاثين يعني تمام الثلاثين أي أشار أولا بأصبع يديه العشر جميعا مرتين، وقبض الإبهام في المرة الثالثة ،وهذا المعبر بقوله تسع وعشرين وأشار مرة أخرى بهما ثلاث مرات وهو المعبر عنه بقوله ثلاثين[2]".

ودلالة الإشارة في هذا الحديث الشريف تدل على بيان معنى من معاني العقيدة الإسلامية غرضها التعليم والإرشاد.

ومن خلال ما شهدناه من الأحاديث النبوية الدالة على استخدام الإشارة باليد كوسيلة هامة من الوسائل النافعة في تدعيم الفكرة، وترسيخ المعلومة في الذهن والإفصاح عن الكثير من الأغراض والأهداف.

2/الإشارة بالعين:

وللإشارة بالعين دلالات مختلفة وقد تكلم عنها ابن حزم الأندلسي قائلا:" وللعين علائم تتبعها دلائل، فإذا كانت الإشارة بمؤخر العينين لا واحدة خفية، علم منها السؤال ، إذا قلبت الحدقة من وسط العين إلى المؤق بسرعة شاهد المنع، أما قلب الحدقة إلى جهة ما، ثم صرفها بسرعة فإنه تنبيه على مشار إليه، وإذا أردت التهديد فعليك إطباقها وترعيد الحدقتين من وسط العينين نهي عام [3]" وكانت الغاية من البصر إدراك الأعراض الخارجية والمشاهدات الحسية، فتكمل معرفتها بما يدور حولها مصداقا لقوله:"**ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ** "السجدة/09.

الدلالة على الصبر : عن عائشة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم حدثته أنها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد ؟ قال:" لقد لقيت من قومك ما لقيت ،وكان أشد مالقيت منهم يوم العقبة إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال فلم يجبني إلى ما أردت

صحيح مسلم ،أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري،3،كتاب الصلاة،باب وجوب صوم رمضان لؤرية [1]الهلال،ص122، ح1080.

[2]فتح الباري، ج1،ص277.

. [3]طوق الحمامة في الألفة والآلاف، أبو محمد علي ابن أحمد بن سعيد ابن حزم الأندلسي القرطبي، تح: احسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر،ط2،1987م،ص32

فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفق إلا و أنا بقرن الثعالب –**فرفعت رأسي**– فإذا أنا بسحابة ظلتني –فنظرت فيها– فإذا هي جبريل فناداني فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك و ما ردوا عليك، وقد بعث الله إليك من الجبال لتأمر بما شئت إن شئت فيهم ، فناداني ملك الجبال فسلم علي ،ثم قال: يامحمد فقال :ذلك فيمان شئت إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم " بل أرجوا أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا شريك به شيئا" .

ويعلق يحي بن محمد زمزمي على هذا الحديث مبرزا قيمة الحوار الهادئ الذي جرى بين النبي صلى الله عليه وسلم وزوجته عائشة رضي الله عنها قائلا: " ولأن المحاور إذا لم الطرف الآخر وجه نظره فعلية بالصبر والحلم والمحاولة تلو المحاولة ليصل معه إلى نقطة التقاء واتفاق[1]".

والحديث جاء هادئا ومع هذا الهدوء كانت الألفاظ سهلة، ومعناها قريب إلى نفوس[2] السامعين ، ولو تأمل القارئ في الإشارتين وهما رفع الرأس والنظر لوجد فيها غرضا يتمثل في الدعوة إلى الصبر عند الشدائد وهذا يتمثل في قوله تعلى : خذ العفو وأمر بالمعروف وأعرض عن الجاهلين".

عن عروة بن الزبير إن عائشة رضي الله عنها قالت:" كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو صحيح يقول :" إنه لم يقبض نبي قط حتى يرى مقعده من الجنة ، ثم يحيا ،أو يخير " فما اشتكى وحضره القبض ،و أرسله على فخذ عائشة غشي عليه فلنا أفاق –**شخص بصره** –نحو سقف البيت ثم قال:" اللهم في الرفيق الأعلى[3]".

ومعنى قول صلى الله عليه وسلم :" اللهم الرفيق الأعلى" يقول الإمام بان باز المقصود هنا يعني مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا[4]".

وفادت الإشارة في الحديث في التهيئة والاستعداد لموته صلى الله عليه وسلم.

ومن الأمثلة والشواهد عن لغة العين التي وردت في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم تبين أن الإشارة بالعين كانت من أغنى الإشارات دلالة حيث أوحت للرائي أو المتلقي بإيحاءات دلالية مختلفة مما يقتضيه المقام أو السياق تحمل في طياتها العديد من الأغراض والمضامين المختلفة .

---

[1] مسلم،م3،كتاب المغازي، باب ما لقي النبي من أذى المشركين والمنافقين،ص181.

قرن الثعالب ويسمى قرن المنازل : وهو اسم موضع يحرم منه أهل نجد، ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر،

[2] ج2،ص448.

[3] البخاري،م3،64،كتاب المغازي،58،باب مرض النبي صلى الله عليه وسلم و وفاته،ص131،ح4437،ومسلم2444.

[4] فتاوى الجامع الكبير ابن باز http://qrchive.binbqw

3/ الإشارة بالرأس :

تحمل حركات الرأس تعابيرا دال على رغبة الإنسان المتنوعة بهدف إيصالها إلى الآخرين ولتحقيق ما يخالج نفسه من كره ورضا وقبول ورفض وفيما يلي الافعال الواردة في أحاديث الرسول صلى الله عليه لحركات رأسه الشريف:

عن سهل ابن أن امرأ جاءت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت:" يا رسول الله جئت لأهب لك نفسي فنظر إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم – فصعد النظر إليها وصوبه ثم **طأطأ**[1] **رأسه**–فلما رأت المرأة أنه لم يقض فيها شيئا جلست فقام رجل من أصحابه يا رسول الله إن لم يكن لك بها حاجة فزوجنيها ،فقال:" هل عندك من شيئ؟" فقال : لا والله يا رسول الله ،قال :" اذهب إلى أهلك فانظر هل تجد شيئا" فذهب ثم رجع فقال : لا والله يا رسول الله ما وجدت شيئا قال :" أنظر ولو خاتما من حديد" فذهب ثم رجع فقال :لا والله يا رسول الله ولا خاتما من حديد ،ولكن هذا إزاري قال سهل ماله رداء فلها نصفه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :" ما تصنع بإزارك إن لبسته لم يكن عليها من شيء و إن لبسته لم يكن عليك شيء"

فجلس الرجل حتى طال مجلسه ثم قام فرآه رسول الله عليه وسلم موليا فأمر به فدعي فلما جاء قال ماذا معك من القرآن ؟ وقال معي سور كذا وسورة كذا عدها قال:" أتقرؤهن عن ظهر قلبك؟" قال : نعم .ثم قال :" اذهب فقد ملكتها إياها بما معك من القرآن[2]".

إن أول ما يلفت الانتباه بشكل ملحوظ لفظ طأطأ رأسه لما تحمله هذه الحركة من معان ودالتها هي الرفض لكن بطريقة مؤدب ومهذبة.

وعليه فإن الإشارة بالرأس في أحاديث المصطفى كانت من بين الوسائل التعبيرية الصادرة عن جسم الإنسان تهدف هي الأخرى إلى أغراض ومضامين وتوحي بدلالات مختلفة إلى المتلقي والرائي.

4/ ملامح الوجه:

إن أكثر عضو من أعضاء الجسد يلفت الانتباه ونركز عليه النظر أثناء حديثنا مع الآخرين هو الوجه،إذ يعبر عن انفعالات عديدة قد يخفيها الاتصال اللفظي لكن ملامح الوجه لا تستطيع أن تخفي ما نريد إخفاءه إذ يعبر عن الحزن والسعادة والغضب والخوف والدهشة والاشمئزاز .

---

[1] طأطأ رأسه: خفضه، ينظر مصطفى الغاض،شرح صحيح البخاري،ص192.

[2] البخاري:م3،كتاب فضائل القرآن،22،باب القراءة عن ظهر القلب،ص353،ح 5030.

أ- التبسم والضحك:

التبسم هو سلوك لفظي يبديه المولود منذ مراحل نموه الأواني حيث تظهر الابتسامة على وجوه الأطفال منذ الشهر الأول للميلاد، وتتطور إلى الضحك في الشهر الرابع والضحك هو سلوك حركي عضلي، تؤديه عضلات في تحركها وتجمعها في أوضاع معينة ويبدو من خلال تحريك الشفتين ومستوى فتح الفم وتحريك الوجنتين ، وتجميع العضلات المحيطة بالعينين و العضلات التي تغطي الجبهة وقد يصاحبه صوت[1]" لقد استخدم النبي الكريم في الكثير من أحاديثه أسلوب التبسم والضحك وهذا ما سنلاحظه من خلال الشواهد التالية:

عن أنس بن مالك قال :بينا الرسول صلى الله عليه وسلم ذات يوم بين ظهرنا إذ أغفى إغفاءة ثم -**رفع رأسه متبسما** -فقلنا : ما أضحكك يا رسول الله ؟ قال:" أنزلت علينا آنفا سورة" فقرأ : بسم الله الرحمن الرحيم " **إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ(1) فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ(2) إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ(3)** [2]"

يقول النووي في شرح الحديث:" قال الرسول صلى الله عليه وسلم ...أتدرون ما الكوثر فقلنا الله ورسوله أعلم قال فإنه نهر وعدنيه ربي عز وجل عليه خير كثير هو حوض يرد أمتي فيقول ما تدري ما أحدثت بعدك زادا ابن حجر في حديثه بين أظهرنا في المسجد وقال ما أحدث بعدك[3] ".

ولقد دلت الابتسامة من خلال شرح الحديث أن النبي صلى الله عليه سلم قد ابتسم فرحا لقوله تعالى " إنا أعطيناك الكوثر".

قال الزهري أخبرني أنس بن مالك: أن المسلمين بينهم في الفجر يوم الإثنين و أبو بكر رضي الله عنه يصلي بهم ففاجأهم النبي صلى الله عليه وسلم وقد كشف ستر حجرة عائشة رضي الله عنها ،فنظر إليهم وهم صفوف –فتبسم يضحك- فنكص أبو بكر رضي الله عنه عن عقبيه وظن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد أن يخرج إلى الصلاة وعم المسلمون أن يفتنوا في صلاتهم، فرحا بالنبي صلى الله عليه وسلم حين رأوه – فأشار بيده- "أن أتموا" ثم دخل الحجرة و أرخى الستر وتوفي بذلك اليوم[4] .

وفي شرح هذا الحديث جاء في عمدة القاري :" ومطابقة للترجمة من حيث أن الصحابة لما كشف عليهم صلى الله عليه وسلم الستر التفتوا إليه، وذلك لأن الحجرة كانت على يسار القبل فالناظر إلى الإشارة من هو فيها يحتاج إلى أن يلتفت. و لولا التفاتهم ما رأوا إشارته فصدق عليه الجزء الثاني من الترجمة

[1] الأبعاد النفسية، لتعبيرات الوجه في القرآن الكريم ،سليمان السير أحمد ،دار الطباعة للأوفست،2003.

[2] مسلم ،م1،كتاب الصلاة ، باب حجة من قال البسملة آية من أول كل سورة ،ص30،ح400.

[3] النووي،ص112-113،كتاب الصلاة.

[4] البخاري،ج1،كتاب العمل في الصلاة ،6،باب القهقرى في صلاته أو تقدم،ص292،ح680.

وقوله"يضحك" حال مؤكدة أي غير منتقلة ومثلها لا يلزم أن تكون مقررة لمضمون جملة، ويجوز أن تكون حالا مقدرة[1]".

وقد أفادت دلالة هذه الحركة على وجه الخصوص طريقة التنبيه أفادت غرض الإرشاد والتوجيه.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أتى رجل النبي صلى الله عليه وسلم فقال:" هلكت قال:"و لم؟" قال: وقعت على أهلي في رمضان،قال:" فاعتق رقبة" قال: ليس عندي، ثم قال :"فصم شهرين متتابعين" قال :لا استطيع ،قال :" فاطعم ستين مسكينا" قال : لا أجد فأتي النبي صلى الله عليه وسلم بعرق فيه تمر فقال: "أين السائل؟" قال :ها أنا ذا، قال :" تصدق بهذا" قال : على أحوج منا يا رسول الله فو الذي بعثك بالحق ما بين لا يتيها أهل بيت أحوج منا –**فضحك النبي صلى الله عليه وسلم حتى بدت أنيابه**– وقال: "فأنتم إذا[2]" .

ويعلق ابن حجر عن هذا الحديث قائلا: " وجه أخذ الترجمة من أنه صلى الله عليه وسلم أباح له إطعام أهله التمر، و لم يقل له،إن ذلك يجزيك عن الكفارة لأنه قد تعين عليه فرض النفقة على أهله بوجود التمر وهو ألزم له من الكفارة، كذا قال،وهو يشبه الدعوى فيحتاج إلى دليل، والذي يظهر أن الأخذ من جهة اهتمام الرجل بنفقة أهله حيث قال لما قيل له تصدق به فقال: " على أفقر منا ؟".

فلولا اهتمام بنفقة أهله لبادر وتصدق[3]" .

ومن خلال الحوار الذي دار بين النبي صلى الله عليه وسلم واستخدامه أسلوب اتصال غير اللفظي المتمثل في الضحك تمثل غرضه في إباحة إطعام الرجل لأله التمر...

ب– البكاء:

قد جاء البكاء كتعبير بالوجه أثناء الحديث النبوي الشريف و وصفه الرواة في الأحاديث بألفاظ مختلفة مثل: فيض الدمع،ذرف العيون، والبكاء ،ومن بين الأمثلة على ذلك نقتصر على بعض الشواهد الدالة على ذلك:

---

[1] عمدة القاري، ج6،ص4–5.

[2] البخاري،م3،69،كتاب النفقات،باب نفقة المعسر على أهله،ص443، ح5368.

[3] فتح الباري، ج9،ص642.

عن انس بن مالك رضي الله عنه قال :" خطب النبي صلى الله عليه وسلم فقال:" أخذ الراية زيد فأصيب ،ثم أخذها جعفر فأصيب، ثم أخذها عبد الله بن رواحة فأصيب ، ثم أخذها خالد بن الوليد عن غير امرأة ففتح ، وقال : " ما يسرنا أنهم عندنا" قال الراوي –**وعيناه تذرفان**[1]–

وجاء في عمد القاري تعليق على ذلك مطابقة للترجمة تؤخذ من قوله " ما يسرهم أنهم عندنا" وذلك أنهم لما رأوا من الكرامة بالشهادة فما يعجبهم أن يعودوا إلى الدنيا ،كما كانوا من غير أن يستشهدوا مرة أخرى ...وقوله:" تذرفان" أي تسيلان دمعا[2]".

ودلالة الإشارة في عيناه تذرفان قد أفادت غرض المدح و التحسين.

عن عمرو بن مرة قال :" قال لي الرسول صلى الله عليه وسلم :" اقرأ علي" فقلت :" أقرأ عليك وعليك أنزل ؟ قال فإني أحب أن أسمعه من غيري" فقرأت عليه سورة النساء حتى بلغت:" فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا" قال:"امسك "– **فإذا عيناه تذرفان**[3]–

شرح الحديث: يعلق ابن حجر قائلا: أنه وقع في الباب تفاسير لا تتعلق بالآية وقد قدمت الاعتذار عن ذلك"[4] .

ج– الغضب:

عن ابن مسعود الأنصاري قال: جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "إني لأتأخر عن صلاة الصبح من أجل فلان ،مما يطيل بنا ،فما رأيت النبي صلى الله عليه وسلم –**غضب في موعظة قط مما غضب يومئذ**–فقال :" يا أيها الناس إن منكم منفرين فأيكم أم الناس فليوجز فإن من ورائه الكبير والضعيف[5]".

وفي تعليق عمدة القاري يشرح الحديث بقوله : معنى أحاديث الباب ظاهر وهو الأمر بتخفيف الصلاة بحيث لا يخل بسنتها ومقاصدها وأنه إذا صلى لنفسه طول ما شاء في الأركان التي تحتمل التطويل وهي القيام

---

[1] البخاري، ج3،56،كتاب الجهاد والسير،7، باب تمني الشهادة،ح.2798

[2] عمدة القاري، ج14،ص135.

البخاري، ج3،65،كتاب التفسير،9،باب فكيف إذا جئنا من كل أمه شهيدا وجئنا بك على هؤلاء

[3] شهيدا،ص176، ح4582.

[4] فتح الباري، ج8،ص317.

[5] مسلم،م1،4كتاب الصلاة،37،باب أمر الأئمة بتخفيف الصلاة في تمام،ص340، ح466.

والركوع والسجود والتشهد دون الاعتدال والجلوس بين السجدتين ... والحديث فيه غضب لما ينكر من أمور الدين والغضب في الموعظة[1]".

عندما يسمع الإنسان مثل تلك المواعظ التي فيها ترهيب وترغيب فلا شك أنه سيخلو بنفسه ويحاسبها دائما، حتى تترك القبيح وتعمل الحسن، وقد أفادت دلالة الإشارة التنفير والترهيب من إطالة الصلاة .فألفاظ الحوار كما يراها المتلقي واضحة لا يجد فيها أي غموض.

د/ الفرح والسرور:

كان النبي صلى الله عليه وسلم أذا سره خبر عرف في وجهه الشريف وكان الصحابة يعرفون ذلك في وجهه فعن عبد الله بن كعب قال:"سلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبرق وجهه من السرور، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم إذا سر استنار وجهه حتى كأنه قطعة قمر،وكنا نعرف ذلك منه[2]" .ومن الأمثلة الدالة على الفرح والسرور في وجهه الشريف نأخذ من بينها لعض الشواهد وهي :

عن ابن مسعود قال :شهدت من المقداد بن الأسود مشهدا لأن أكون صاحبه أحب إلي مما عدل به ،وأتى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يدعو المشركين فقال:" لا نقول كما قال قوم موسى اذهب وربك فقاتلا، ولكن نقاتل عن يمينك وعن شمالك ،وبين يديك وخلفك،فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم –**أشرق وجهه وسره**– يعني قوله"[3] .

وجاء في عمدة القاري تعليقا على هذا الحديث :" أشرق وجهه من الإشراق ،أي استنار وقوله "وسره" يعني قوله،أي سر النبي صلى الله عليه وسلم ، قول المقداد رضي الله عنه[4]".

وفي إشارة الحديث دلالة على القبول تهدف إلى غرض مدح المقداد بن الأسود.

---

[1] عمدة القاري، ج4،ص184-185.

[2] البخاري، ح3556.

[3] البخاري،م3،64 كتاب المغازي،4،باب قول الله تعالى " إذ تستغيثون ربكم" –الأنفال(12-9)،ص5،ح3952.

[4] عمدة القاري، ج17،ص107.

ه/ الحزن:

الحزن انفعال نفسي صادق وكان الرسول صلى الله عليه وسلم إذا حزن لأمر ما عرفه الصحابة الكرام من ملامح وجهه الشريف ومن ذلك حديث عائشة رضي الله عنها قالت: "لما جاء النبي صلى الله عليه وسلم قتل ابن حارث وجعفر وابن رواحة ،جلس يعرف في وجهه الحزن"[1] .

4/ الإشارة بالجسم عامة:

استخدم الرسول صلى الله عليه وسلم حركات جسمه العامة والتي تمت في تغيير وضع جسمه أثناء اتصاله بالآخرين عن طريق الاتصال غير اللفظي ومن الأمثلة الدالة على ذلك إعراضه أو إقباله أثناء الحديث و الاتكاء والقيام ومن الشواهد سنتناول ما يلي:

أ/الإقبال:

عن سمرة بن جندب قال :كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا صلى الصبح– **أقبل عليهم بوجهه**– قائلا: " هل رأى أحدا منكم البارح رؤيا[2]" .

ويعلق النووي على هذا الحديث قائلا: " دليل الاستحباب إقبال الإمام المصلي بعد سلامه على أصحابه وفيه استحباب السؤال عن الرؤيا والمبادرة إلى تأويلها وتعجيلها أول النهار لهذا الحديث ،و لأن الذهن جمع قبل أن يتشعب بأشغاله في معايش الدنيا ولأن عهد الرائي قريب لم يطرأ عليه ما يهوش الرؤيا عليه و لأنه قد يكون فيها ما يستحب تعجيله كالحث على الخير أو التحذير من معصية ونحو ذلك وفيه إباحة الكلام في العلم وتفسير الرؤيا ونحوهما بعد صلاة الصبح وفيه أن استدبار القبلة في جلوسه للعلم أو غيره مباح والله أعلم[3]".

تفيد دلالة إشارة الحديث –أقبل علينا بوجهه– في الحديث غرض الترغيب في تعجيل أول النهار للرؤيا.

عن عبد الله قال: كنا إذا صلينا مع النبي صلى الله عليه وسلم قلنا: السلام على الله قبل عباده،السلام على جبريل ،السلام على ميكائيل ،السلام على فلان،فلما انصرف النبي صلى الله عليه وسلم **–أقبل بوجهه–**

---

[1] البخاري، ح3476.

[2] مسلم،م4،4 كتاب الرؤيا،باب رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم،ص871، ح2275.

[3] شرح النووي، ج15،ص35.

قائلا:" إن الله هو السلام ،فإذا جلس أحدكم في الصلاة فليقل:" التحيات لله ،والصلوات والطيبات السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين[1]".

شرح الحديث : يقول ابن حجر " باب السلام اسم من أسماء الله تعالى " هذه الترجمة لفظ بعض حديث مرفوع له طرف ليس منها شيء على شرط المصنف في الصحيح فاستعمله في الترجمة ،و أورد ما يؤدي معناه على شرطه وهو حديث التشهد لقوله :"فإن الله هو السلام" وكذا ثبت في القرآن في أسماء الله (لسلام المؤمن المهيمن) ومعنى السلام السالم من النقائص "[2]من خلال إشارة الحديث –**أقبل علينا**– استعملها الرسول صلى الله عليه وسلم للفت انتباه [3]السامعين غرضها التعليم و الإرشاد.

ب– الإعراض: الدلال على الرفض:

ومن المعروف أن الإعراض هو نوع من التجنب البصري ولكن يتم بعد تحريك الجسم في اتجاه بعيد عن وجه المخاطب، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : أتى رجل من أسلم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في المسجد فناداه فقال : يا رسول الله ،إن الآخر قد زنى يعني نفسه–**فأعرض عنه فتنحى لشق وجهه**– الذي أعرض قبله، فقال له ذلك –**فأعرض عنه**– فتنحى له الرابعة ،فلما شهد على نفسه أربع شهادات دعاه فقال:" هل بك جنون؟" قال: لا ،فقال النبي صلى الله عليه وسلم " اذهبوا به فارجموه " "وكان قد أحصن[4]".

ويعلق ابن حجر قائلا:"أن هذه الترجمة اشتملت على أحكام يجمعها أن الحكم إنما يتوجه على العاقل المختار العامد الذاكر ، وشمل ذلك الاستدلال بالحديث لأن غير العاقل المختار لانية له فيما يقول أو يفعل[5] ".

ومن خلال إعراض النبي صلى الله عليه وسلم عن السائل فهذا يدل على عدم قبول الرسول صلى الله عليه للمسألة و أفادت هذه الإشارة غرض الترهيب من فعل السائل.

ج– تعديل وضع الجسم(القيام): ومن الشواهد نذكر من بينها :

---

[1] البخاري،م4،كتاب الاستئذان،باب السلام اسم من أسماء الله تعالى ،ص143،ح6230.

[2]

[3] فتح الباري، ج11،ص15.

[4] البخاري، ج4،كتاب الطلاق، باب الطلاق في الإغلاق والكره والسكران المجنون،ص417،ح5271.

[5] فتح الباري، ج9،ص486.

عن أبي موسى قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله ما القتال في سبيل الله ؟ فإن أحدنا يقاتل غضبا ويقاتل حمية.– **فرفع إليه رأسه إلا أنه كان قائما –** فقال: "من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله عز وجل[1]" .

جاء في عمد القاري :" رفع إليه رأسه أي رفع فرفع النبي صلى الله عليه وسلم إلى السائل وما رفع لأمر من الأمور إلا لقيام الرجل"[2].

د– الاتكاء:

عن بن عبد الله قال :قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" ألا أخبركم بأكبر الكبائر؟" قالوا : بلى يا رسول الله ،قال :" الإشراك بالله، وعقوق الوالدين"–**وكان متكئا فجلس**– فقال :" ألا وقول الزور" فمازال يكررها حتى قلنا يا ليته سكت[3]".

ويشرح ابن حجر الحديث قائلا:" الاتكاء، الاضطجاع، وقد مضى في حديث عمر كتاب الطلاق "وهو متكئ على سرير" أي مضطجع[4]" .

استخدم الرسول صلى الله عليه وسلم طريقة تعديل وضع جسمه وذلك لشد انتباه الرائي والمتلقي لسماع الحديث والذي يحمل غرض الترهيب والذم من قائل الزور.

5/ لغة الصمت:

يعتبر الصمت وسيلة للتعبير عن الانفعالات النفسية التي تخالج الإنسان ،وقد يكون الصمت سكوتا وانقطاعا عن الحديث ،كما قد يكون معبرا عن حالة تثيرها الدهشة والاستغراب وقد يكون صمتا مطلقا لحجز النفس عن الكلام إثر موقف ما يتطلب السكوت وإذا كانت اللغة الوسيلة الوحيدة التي تكشف عما يختلج صدر الإنسان ،فإن البلاغيون قد اعتبروا الصمت أهم وسيلة من وسائل البيان في الكشف عن المعنى المقصود مطابقة بمقتضى.

[1] البخاري، ج1،كتاب العلم، باب من تطوع في السفر في غير دبر الصلاة،ح123.
[2] عمدة القاري، ج2،ص297.
[3] البخاري،م4،كتاب الاستئذان ،باب يقبض الله الأرض،ص214،ح6520.
[4] فتح الباري ،ج11،ص78.

يقول الجرجاني رحمه الله عن محاسن الصمت وبلاغته:" والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة ونجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بيانا إذا لم تبين [1]" .

وتتعدد دلالات الصمت والتي نذكر من بينها الـــتأمل، والخوف، والعزلة واستحضار الذكريات والمواقف.

ومن الأحاديث النبوية الشريفة الدالة على صمت الرسول صلى الله عليه وسلم هي:

– عن أبي سعيد الخدري قال :" قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :" إن أكثر ما أخاف عليكم ما يخرج الله لكم من بركات الأرض " قيل وما بركات الأرض ؟ قال :" زهرة الدنيا" فقال له رجل : هل يأتي الخير بالشر؟ –**فصمت النبي صلى الله عليه وسلم** –حتى ظننا أنه ينزل عليه ثم جعل يسمح على جبينه ،فقال "أين السائل"قال: أنا أبو سعيد لقد حمدناه حين طلع ذلك قال " لا يأتي الخير إلا بالخير ،إن هذا المال خضرة حلوة ،وإن كل ما أنبت الربيع يقتل حطبا أو يلم ،إلا آكلة الخضرة ،أكلت حتى إذا امتدت خاصرتنا استقبلت الشمس فاجترت وثلطت وبالت ثم عادت فأكلت وإن هذا المال حلوة من أخذ بحقه و وضعه في حقه فنعم المعونة هو ،ومن أخذه بغير حقه كان كالذي يأكل ولا يشبع[2]".

يقول ابن حجر شرحا للحديث :" المراد بزهرة الدنيا بهجتها ونضارتها وحسنها".

وعليه أقول أن للصمت أهمية بالغة في حمل المقاصد والمعاني ، وقد نواجه في حياتنا اليومية مواقف تتطلب السكوت والسكوت لا يعني أننا انفصلنا عن الخطاب و إنما قد يكون هذا السكوت معبرا تعبيرا أبلغ التعبير اللفظي و أجمل بقول :" إذا كان الكلام من فضة فالسكوت من ذهب ".

6/ الإشارة بالسوط:

عن ابن عباس رضي الله عنه أنه دفع مع النبي صلى الله عليه وسلم وراءه زجرا شديدا وضربا وصوتا للإبل – **فأشار بسوطه إليهم**– وقال :" أيها الناس عليكم بالسكينة فإن البر ليس بالإيضاع [3]".

" فإن البر بالإيضاع أي السير السريع، ويقال هو سير مثل الخبب فبين االرسول صلى الله عليه وسلم أن تكلف الإسراع في السير ليس من البر أي مما، يتقرب به ومن هذا أخذ عمر عبد العزيز قوله لما خطب بعرفة"

---

[1] دلائل الإعجاز ا،الجرجاني، ج2،ص42.

[2] البخاري،م4،كتاب الرقاق، باب ما يحذر زهرة الدنيا والتنافس فيها،ص192، ح6427.

البخاري ،م1،25كتاب الحج،95 باب أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالسكينة عند الإفاضة إشارته إليهم بالسوط،

[3] ص412، ح1671.

ليس السابق من سبق بعيره وفرسه ولكن السابق من غفر له " وقال الملهب: إنما نهاهم عن الإسراع إبقاء عليهم لئلا يجحفوا بأنفسهم من بعد المسافة [1]".

من خلال الحركة الإشارية التي قدمها الرسول صلى الله عليه وسلم تهدف إلى غرض الذم من السير السريع.

7/الإشارة بالمخصرة:

عن علي رضي الله عنه قال : كنا في جنازة في بقيع الغرقد ،فأتانا النبي صلى الله عليه وسلم وقعدنا حوله **ومعه مخصر[2]ة فنكس فجعل ينكت –بمخصرته –** ثم قال: ما منكن من أحد ما من نفس منفوسة إلا كتب مكانها من الجنة والنار و إلا قد كتب شقية أو سعيدة ،فقال رجل يا رسول الله أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل فمن كان منا من أهل السعادة فسيصير إلى عمل أهل السعادة ،وأما من كان منا من أهل الشقاوة فسيصير إلى عمل الشقاوة[3] قال ثم قرأ **[فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى]**/ الليل 05.

وجاء في عمدة القاري تعليقا على الحديث :" مطابقة الحديث للترجمة في قوله :"فنكس"، بتخفيف الكاف وتشديدها ، لغتان أي: خفض رأسه و طأطأ به إلى الأرض على هيئة المهموم المفكر، ويحتمل أيضا أن يراد بنكس: نكس المخصرة .

وقوله: "ينكت" من النكت، وهو أن يضرب في الأرض بقضيب يؤثر فيها ، ويقال النكت قرعك الأرض بعود أو بإصبع يؤثر فيها...

اختلف أهل العلم في الدنيا الشقي من السعيد؟ فقال قوم: نعم، محتجين بهذه الآية الكريمة والحديث لأن كل عمل أمارة على جزائه، وقال: قوم لا والحق في ذلك أنه يدرك ظنا لا جزما"[4].

الغرض الذي أفادته الإشارة من خلال الحديث النبوي هو الترغيب في العمل الصالح.

عن زيد بن خالد الجهني أن النبي صلى الله عليه وسلم سأل رجل عن اللقطة، فقال:" اعرف وكاؤها أو قال وعاها وعفاصها ، ثم عرفها سنة ثم استمع بها، فإذا جاء ربها فأداها إليه" .قال فضالة الإبل؟– **فغضب**

---

[1] فتح الباري ،كتاب الحج،ص666.

[2] المخصرة: هو شيء يأخذه الرجل بيده ليتوكأ عليه مثل العصا ونحوه، عمدة القاري،ج8،ص272.

[3] صحيح البخاري،كتاب الجنائز،باب يوم الخروج من القبور ينسلون يخرجون ،ح 1623.

[4] المرجع السابق،ص272.

النبي صلى الله عليه وسلم حتى احمرت وجنتاه أو قال احمر وجهه– فقال:" وما لك ولها؟ " معها سقاؤها وحذاؤها ترد الماء وترعى الشجر فذرها حتى يلقاها ربها :قال: فضالة الغنم؟ قال:" لك و لأخيك وللذئب[1]".

قوله:(وكاؤها) بكسر الواو ما يربط به، والعفاص العين المهملة هو العفاص بكسر الواو، قوله:(فغضب) إما لأنه كان نهى قبل ذلك ن التقاطها وأما لأن السائل قصر في فهمه فقاس ما يتعين التقاطه على ما لا يتعين[2]".

[1]البخاري،م1،3كتاب العلم ،29،باب الغضب في الموعظة والتعليم إذا رأى ما يكره، ص33،ح91.

[2]فتح الباري، ج1،248.

إن الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات والصلاة والسلام على نبينا المبعوث بخاتمة الرسالات وبعد:

حاولت في هذا البحث المتواضع أن أضع بين يدي القارئ المتذوق نمطا من أنماط بيانه صلى الله عليه وسلم ، وهذا النمط يتمثل دلالة الإشارة ، ليقف القارئ على سر إيثار النبي صلى الله عليه وسلم له، إذ يوقظ ما في الذهن ،و يفتح الطريق إلى أعماق القلب ويثير كوامن الوجدان .

متناولة في هذا البحث "دلالات استعمال الإشارة من خلال أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ، قمت من خلالها بجول في سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم جمعا وعرضا وتحليلا وذلك من خلال دراسة نظرية ثم تطبيق بعض الأحاديث الصحيحة .

والبحث يتكون من فصلين وكل فصل مكون من مباحث .

الأول :يحتوي على أربعة مباحث الأول الإشارة في التراث العربي والمبحث الثاني الإشارة عند النحاة وفي المبحث الثالث تناولت فيه الإشارة عند علماء أصول الفقه ، أما المبحث الرابع فتناولت فيه الإشارة في الدرس اللساني الحديث.

أما الفصل الثاني وعنوانه دلالة الإشارة من خلال الأحاديث النبوية ويحتوي على مبحثين وهما

- المبحث الأول : فن استعمال الرسول صلى الله عليه وسلم للإشارة.

- المبحث الثاني: أنواع الإشارة من خلال أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم.

وتبين من خلال هذه الدراسة مايلي :

* كان لعلماء العرب القدامى دور مهم في إرساء مبادئ دلالة الإشارة .

* طبيعة الازدواج بين اللفظ والإشارة وثمة شعور بأن اللفظ لا يحمل الشحنات الدلالية التي يريدها صاحب البيان .

* إبراز الدلالات التي تقدمها الإشارة .

* ورود المقامات التي جاءت فيها الإشارة.

ونستخلص أهم النتائج المتوصل إليها كما يلي :

- أن اللغة اللفظية قاصرة عن الوفاء بكل مقتضيات المعنى من صورة الذهنية .

– يزخر تراثنا العربي بالإشارات التي لا نكاد نجدها إلا مبثوثة ولا نكاد نجد دراسة مستقلة تعنى بدراسة الحركات المصاحبة للفظ.

– كرس الرسول صلى الله عليه وسلم حواره لإقناع الناس بالدين الإسلامي ،وإرساء عقيدته في نفوسهم وأغلب حواراته على هذه الشاكلة مع شيء من الإيجاز المكثف للمعاني بأسلوب سهل لكنه ممتع عند غيره و أقرانه بالحركات الصادرة عنه صلى الله عليه وسلم.

– أن الحركات الصادرة عن جسم الإنسان ودورها في الإفصاح عن المراد لا تزال مهملة من قبل الباحثين والدارسين العرب المختصين في مجال الدراسات الإنسانية.

وما أردت الاستقصاء بدراستي و إنما أردت فتح باب لدراسة تراثنا العربي وهو زاخر شعرا ونثرا من خلال الإشارات المصاحبة له لأن ذلك سيعيد إلينا دلالات ومعاني قد سقطت منا لقلة اهتمامنا بهذه الدلالة "دلالة الإشارة" ولندرة الدراسات المساوقة لها.

وختاما أرجو أني قد وفقت في تقديم باقة ناضرة من روض البيان النبوي تنال رضا القارئ المتذوق.

و أسأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم وأن يهيئ لهذا التراث من أبنائه من يخلصون النية في دراسة قضاياه و وسائله والكشف عن كنوزه وخباياه، وإظهار محاسنه وسد جوانب النقص فيه .

التوصيات :

– اصطناع معجم لدلالة الإشارات في بيان السابقين وعلى رأس ذلك بيان الوحي ثم بيان العرب القديم.

ولقد الح على مثل ذلك ابن حزم حيث قال:

الإشارة بمؤخرة العين الواحدة تعني النهي .

وتقصيرها : إعلام بالقبول.

وإدامة نظرها : دليل على التوجع.

وقبض اليد يعني: القوة.

وغير ذلك كثير في تراثنا العربي ،ومن الممكن جمعه ووضعه في معجم يستعين به كل مبين.

- البحث في التراث اللغوي العربي وبذلك التعامل مع الواعي مع ظواهر اللغوية وغير اللغوية والتي تكاد تكون أصولا لعلم لغة الجسد.

- ونظرا لكثرة الأحاديث في الحوار النبوي التي استخدمت فيها الإشارة فإني أوصي بدراسة البقية التي لم يسعني دراستها.

قائمة المصادر و المراجع

القرآن الكريم:رواية ورش عن نافع

1- صحيح مسلم أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري

2-،فتح الباري في شرح صحيح البخاري احمد بن علي بن حجر العسقلاني

3- عمدة القارئ شرح صحيح البخاري،بدر الدين أبي محمد محمود بن أبي احمد العيني، دار الكتب العلمية

4- صحيح االبخاري ،محمد اسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر،دار طوق النجاة

5- زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم الجوزية محمد بن أبي بكر، مؤسسة الرسالة،ط3،بيروت

6- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، ابن رشيق القيرواني، تحقيق: محي الدين عبد الحميد ،دار الجيل ،بيروت

7-، لسان العرب ، ابن منظوردار صادر ،بيروت-لبنان،طبعةجديدة

8- شرح شذور الذهب ابن هشام الأنصاري، تحقيق: بركات هبود،دار الفكر ،بيروت

9- شرح قطر الندى، وبل الصدى ،ابن هشام الأنصاري ، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد ،دار رحاب للطباعة والنشر والتوزيع

10- شرح المفصل، ابن يعيش، موفق الدين ، إدارة الطباعة المنيرية، مصر

11- شرح المكودي على الألفية في علمي الصرف والنحو ،أبو زيد عبد الرحمن بن علي بن صالح المكودي، ضبط :ابراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية،بيروت

12- علم الأصول ،أبو عبدالله محمد بن عمر ابن الحسين التيمي الرازي، تحقيق:طه جابر فيض العلواني، مؤسسة الرسالة ،ط3،1418هـ/1997م

13- المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع، أبومحمد القاسم السجلماسي، تحقيق:علال غازيالدار التونسية،ط1،1980

14- طوق الحمامة في الألفة والآلاف، أبو محمد علي ابن أحمد بن سعيد ابن حزم الأندلسي القرطبي، تحقيق: احسان عباس، المؤسسة العربية

15- ، مقاييس اللغة ،أبي الحسين بن فارس بن زكريا الرازيدار الكتب العلمية ،بيروت-لبنان

16- الخصائص، أبي الفتح عثمان ابن جني، تحقيق: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية

17-، المستصفى من علم الاصول، أبي حامد محمد الغزاليالمكتبة العصرية ،صيدا،بيروت،لبنان

18- الفروق اللغوية،أبي هلال العسكري ، تحقيق:محمد إبراهيم سليم،دار المعارف والثقافة،النصر، القاهرة.

19- الاتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي ، مطبعة البابي حلبي،ط3،1402هـ، بيروت
20- أصول السرخسي ،أحمد بن أبي سهل السرخسي ، تحقيق: أبو الوفا الأفغاني ،لجنة إحياء المعارف العثمانية،
21- علم الدلالة،أحمد عمر مختار، عالم الكتب،القاهرة،ط7،2009.
22- لغة الجسد ،الخور فؤاد اسحاق، دار الساقي للطباعة والنشر،بيروت،لبنان،
23- علم الدلالة ،أف، بالمر، ترجمة: مجيد عبد الحليم ناشطة،الجامعة المستنصرية
24- أسرار العربية، الأنباري أبو بركات، تحقيق: فخر صالح قداره، دار الجيل، بيروت،ط1
25- المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني ، تحقيق: محمد خليل عيتاني،دارالمعرفة،بيروت
26- أنظمة العلامات ،سيزاقاسم
27- علم الإشارة السيميولوجيا ،بيار جيرو، ترجمة:منذرعياشي،،دار طلاس ،دمشق،ط1،1988
28- الاشارات الجسمية ،حسام الدين كريم، دار غريب،القاهرة،ط2،2001
29- الكتاب، سبويه، تحقيق: عبد السلام محمد هارون،دارالجيل،بيروت
30- الاتصال ووسائله، سلامه محمد غبارى عبد الحميد عطية ، المكتب الجامعي الحديث،محطة الرمل،الاسكندرية،1998
31- التحفة السنية بشرح المقدمة الاجرومية، عبد الحميد محمد محي الدين ، دار الطلائع،القاهرة،
32- دلائل الإعجاز ،عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد، تحقيق: محمود محمد شاكر،مكتبةالخانجي مطبعة المدني
33- فقه اللغة، عبد الملك بن اسماعيل أبو منصور الثعالبي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث
34- أصول البزدوي، علي الحنفي(ت 482هـ)، دار الكتب العلمية،بيروت-لبنان،ط1،1418هـ
35- الاحكام في أصول الأحكام ، علي بن محمد التغلبي الآمدي سيف الدين أبو الحسن، تحقيق:عبد الرزاق عفيفي،المكتب الإسلامي،1402هـ
36- المغني في أصول الفقه، عمر بن محمد عمر الخبازي، تحقيق: محمد مظهر بقا،مطبعةجامعةأمالقرى،مكة
37- علم اللغة العام،فرديناند دي سوسير، ترجمة: يوئيل يوسف عزيز،دار آفاق العربية
38- نقد الشعر، قدامة بن جعفر
39- تأملات في اللغة واللغو، محمد عزيز حبابي، الدارالجامعية،للكتب،ليبيا
40- كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم،تمحمد علي التهانوي، حقيق :علي دحروج
41- اللغة والحواس، محمدكشاش ، المكتبةالعصرية،بيروت-لبنان
42- أصول الفقه الإسلامي، محمد مصطفى شلبي ، الدار الجامعة ،ط 4، بيروت –لبنان ، 1983.
43- الكافي الوافي في أصول الفقه الإسلامي، مصطفى سعيد الخن، مؤسسة الرسالة
44- معجم الوسيط، معجم اللغة العربية ، دار المعارف،مصر،ط2،1972م

المجلات :

45- الأبعاد النفسية، لتعبيرات الوجه في القرآن الكريم ،سليمان السر أحمد ، دار الطباعة للأوفست،

46- المعجم الفلسفي،مجمع اللغة العربية، مرادوهبة، دار قباء الحديثة،القاهرة،2007

الرسائل والاطروحات :

47- التواصل غير اللغوي في القصص القرآني، نزيهة روينة،جامعة محمد خيضر،كلية الآداب و اللغات قسم اللغة و آدابها، الجزائر،نوفمبر،2014

48- من العلامة إلى المعنى، درقاوي مختار، أطروحة دكتوراه،جامعة وهران

المحاضرات:

49- دروس في السميولوجيا ،ابوبكر مرزوق ،جامعة الاغواط،الجزائر

50- م الإسلام سؤال وجواب،س201556،حمد صالح المنجد، ،كيف يتحرى المسلم ساعة الإجابة يوم الجمعة

مواقع الانترنيت:

51- فتاوى الجامع الكبير ابن باز http://qrchive.binbqw

52 -دراسة حول لغة الجسد ودورها في التواصل مع الآخرين رابط. http://iraq:irlvb/showthiead

53- لغات الإشارة العربية والغربيةوكيفية التعامل بها،الرابطhttp//:www.startimes.com